الفصل الرابع

فرعون موسى

لقد كانت تقتضى الطقوس والتقاليد المصرية القديمة أن يتم تحنيط جثة المتوفى والحفاظ عليهـا فـى مكان آمن حتى ينعم فى العالم الآخر بما كان ينعم به فى الحياة الدنيا. ويبدو أنه بعد غرق فرعون أثناء مطاردة بنى إسرائيل، قام من نجا من الغرق بانتشال جثته وقام أفـراد البيت الملكى وكبار الكهنـة بتحنيطها ونقلها فى تابوت إلى طيبة حيث مقبرة الملك بوادى الملوك.

وقد يدعونا الفضول إلى محاولة معرفة أو استنباط كنه هذا الفرعون، فرعون موسى، الذى يختلف فيه القول وتتضارب حوله الآراء، وجميعها آراء لا بينة واضحة على صحتها، وإن كان بعضها تدعمه بعض الأدلة والحيثيات. ونظراً لخلو الآثار المصرية مما يشير إلى حادثة الخروج هذه، كانت التكهنات المختلفة والمتعددة والتى تقوم على افتراضات لا تستند على دليـل أثـرى يمكن الاعتماد عليه فى تحديد هذا التاريـخ، وبالتالى تحديد الفرعون الذى عاصر موسـى عليه السـلام والذى تناولت الكتب المقدسة صفاته دون البوح باسمه. فرأى البعض أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد حدث فى عهد الهكسوس، ورأى آخرون أنهم قد خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وبالتحديد فى عهد الملك تحتمس الثالث (١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م تقريبًـا)، وآخرون يعتقدون أن خروجهم كان فى عهد ابنه أمنحتب الثانى (١٤٥٠ – ١٤٢٥ ق.م تقريبًا)، كما أن هناك من الباحثين من يرى أن ذلك قد حدث فى عهـد أمنحتب الثالـث (١٤١٧ – ١٣٧٩ ق. م تقريبا)، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر وفاة أمنحتب الرابع (اخناتون) الذى تولى الحكم فى الفترة من ١٣٧٩ – ١٣٦٢ ق.م تقريبًا، أو أن اخناتون نفسـه هو موسـى عليه السلام. وظهرت آراء أخـرى تـرى أن الخروج حدث فى عهد رمسـيس الثانـى (١٣٠٤ – ١٢٣٧ ق. م)، أما الرأى الوحيد المعتمد على نص مشـكوك فى صحة قراءته وتفسيره فإنه يرى أن خروج بنى اسرائيل من مصر كان فى أيام مرنبتاح (١٢٣٦ – ١٢٢٣ ق.م تقريبًا) وذلك استناداً إلى لوحته المعروفة.

ويمكن اجمالى هذه الافتراضات التى تناولت هذه الحادثة وفرعون موسى بالدراسة والبحث جاهدين من خلال بعض الأدلة الوصول إلى كنه هذا الفرعون ومن يكون، وفيما يلى مثل هذه الافتراضات وأصحابها.

الافتراض الأول

أصحاب هذا الافتراض يرون أن أحمس الأول (صورة ٧) طارد الهكسوس هو فرعون موسى زاعمين أن الهكسوس هم بنو إسرائيل، معتمدين فى ذلك على أن مانيتون السمنودى، الكاهن والمؤرخ المصرى القديم، ذكر أن العابيرو (أو الخابيرو) الذين ذكروا فى النصوص المصرية القديمة هم أنفسهم العبرانيون أى بنو إسرائيل. وهم أيضاً الهكسوس الذين حكموا مصر وأن طرد الهكسوس من مصر بواسطة أحمس هو نفسه خروج بنى إسرائيل من مصر، وبالتالى فإن أحمس هو فرعون موسى!. وأول من قال بهذه النظرية المؤرخ اليهودى يوسيفيوس (يوسف) ابن متى، الذى عاش فى القرن الأول الميلادى. ونهج نهجه فى ذلك عدد من المؤرخين معظمهم من اليهود.

ولا يمكن تصديق هذا الادعاء لسببين: أن المصدر الذى ينسب إليه هذه المعلومة وهو كتاب «مانيتون»، المؤرخ المصرى الذى عاش زمن بطليموس الثانى فى مدينة سمنود، قد فقد فى حريق مكتبة الإسكندرية عام ٤٨ق.م. كما أن تسمية الهكسوس فى أصلها لم تعبر عن شعب معين بقدر ما عبرت عن صفة لمجموعة من الحكام أطلق عليها المصريون القدماء اسم «حقاو خاسوت» بمعنى حكام البرارى. وحوَّر بعض مؤرخى الإغريق وغيرهم هذه التسمية إلى «هكسوس» التى ترجمها مانيتون بمعنى «ملوك الرعاة»، ثم ترجمها يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى بمعنى «الأسرى الرعاة». وربط بينهم وبين العبرانيين كطائفة تابعة لهم، وافترض أن النبى يوسف دخل مصر فى عصرهم، وأنهم أى العبرانيون خرجوا معهم بعد جلائهم من مصر. وقد يرمى من وراء هذا إلى التدليل على قدم نشأة اليهود وأن طائفة منهم أوهم أنفسهم قد حكموا مصر مدة من الزمن وهى فترة حكم الهكسوس والتى وصلت إلى ٢٠٥ أعوام تقريبًا. والمعروف تاريخياً أن أول قدوم بنى إسرائيل كان عند مجىء يعقوب وأولاده بدعوة من ابنه يوسف عليهم السلام والذى كان نائباً لأحد ملوك الهكسوس الذى احتفى بهم وأكرمهم وأنزلهم أرض «جاسان» أو «جوشن» شرق الدلتا، حيث أظهروا له ولاءهم على الرغم مما ركب فيهم من حب

العزلــة والاعتزال والاعتداد بعصبيتهم وحرصهم على عدم الامتزاج بالمجتمع الذى آواهم. كما يذكر العهد القديم:

«فأتى يوســف وأخبر فرعون وقال أبى وإخوتــى وغنمهم وبقرهم وكل ما لهم جاءوا من أرض كنعــان وهوذا هم فى أرض جاســان. وأخذ من جملة إخوته خمســة رجال وأوقفهم أمــام فرعون، فقال فرعون لإخوته ما صنعتكم فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعــاً. وقالوا لفرعون جئنا لنتغــرَّب فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى، لأن الجوع شديد فى أرض كنعان، فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان. فكلم فرعون يوسف قائلاً: أبــوك وإخوتك جــاءوا إليك، أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أســكن أباك وإخوتك، ليســكنوا فى أرض جاســان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى» (سفر التكوين ٤٧: ١ – ٦)

ولقد رأى الهكسوس فيهم عوناً لهم خصوصاً أنهم أهل بداوة مثلهم. وأثمروا وتوالدوا كما يقــول العهد القديم، ولعلهم قد كانوا عوناً للهكســوس عندما خاض المصريون معهم حرب التحرير. المهم أنهم «أثمروا وتوالدوا وكثروا» فمن أين إذاً كان التســخير والعذاب والتمسك بالبقاء أى إنهم لم يتعرضوا لتسخير الفرعون أحمس وسوء عذابه كما أنه لم يتمسك ببقائهم (إن كانوا هم الهكسوس فعلاً) بل كان يطاردهم ليجليهم عن أرض مصر، وهذا يتعارض مع ما هو معروف من أن فرعون موسى، كما تذكر التوراة، تمسك ببقاء بنى إسرائيل فى مصر لتســخيرهم فى خدمته. كما أن أحمس كان يحكم من جنوب مصر فى طيبة فى حين أن الهكســوس كانوا فى الشــمال وأن بنى إسرائيل كانوا يتركزون فى أرض جاسان أو جوشن شــرق الدلتا فكيف يتأتى لأم موســى أن تلقيه فى النهر فيلتقطه آل فرعون الذين يقطنون الجنــوب! كما أن أحمس لم يَرِدْ عنه ادعــاؤه الألوهية. والعديد من الأدلة الأخرى تجعل هذا الافتراض فكرة واهية غير قابلة للتصديق والقبول.

الافتراض الثانى

يقول بأن فرعون التســخير والذى ســخَّر وعذَّب بنى إســرائيل وقتل أبناءهم واســتحيا نســاءهم هو أحمس الأول بينما فرعون الخروج والــذى غرق فى اليم وطفت جثته وصارت لمن خلفــه آية هــو الفرعون تحتمس الأول (صورة ٨). وقائل هــذا الرأى هو الدكتور محمد

وصفى[1] الذى يرى أن أحمس إنما قام بما قام به من قتل وتعذيب واضطهاد كان نتيجة لموالاة بنى إسرائيل للهكسوس المحتلين الغزاة، فكان من الطبيعى أن يعمل على استئصال هذه العناصر الموالية لهم، فكان يذبح أبناءهم حتى لا يكبروا فيصبحوا شوكة فى ظهره. وكان يستعمل بنى إسرائيل فى بناء المدن فلم يكن من السياسة أن يبيدهم كلهم.

ويقول: إن بنى إسرائيل ظلوا فى التعذيب منذ أن تولى أحمس الحكم عام ١٥٨٠ ق.م وأن موسى ولد سنة ١٥٧١، ويقول إن موسى عاصر ثلاثة فراعين هم بالترتيب: أحمس الأول مدة ١٤عاماً وأمنحتب الأول ١٦ عاماً ثم تحتمس الأول مدة ٣٩ عاماً. وأن موسى لما قتل المصرى كان عمره ٦١ عاماً وتغرب فى أرض مدين ٨ سنوات ثم عاد وعمره ٦٩ عاماً ودعا الفرعون سنة واحدة ثم كان الخروج.

ويتعارض هذا الافتراض أيضا مع مجموعة من الحقائق التاريخية أولها أن مركز حكم وإقامة أحمس كما قلنا سابقاً كان فى جنوب مصر فى طيبة فلا يعقل أن يتم التقاط موسى فى الجنوب حيث مقر الملك، فالنهر يجرى إلى الشمال لا إلى الجنوب. كما أن السنة التى قضاها موسى فى دعوة فرعون وقومه قبل الخروج لا تكفى فيما يُعتقد لإظهار الآيات العديدة التى ساقها الله على يد موسى والثابتة فى الكتب المقدسة.

كما أن تحتمس الأول لم يثبت عنه تاريخياً ادعاؤه الألوهية كما تؤكد الكتب المقدسة عن فرعون موسى، بل إنه استولى على الحكم بعد وفاة والده الملك أمنحتب الأول، على الرغم من أن والدته «سنى سنب» لا يجرى فى عروقها الدم الملكى، فلم تكن زوجة رئيسية لملك أو ابنة ملك، ولكنه استطاع أن يستولى على العرش بزواجه من الأميرة أحمس التى كانت أغلب الظن من أصل عريق تنتمى إلى العائلة المالكة. ولعله كان يشعر بنقص من هذه الناحية فحاول أن يزجى لنفسه ألقاباً ملكية فأطلق على نفسه (ملك من ابن ملك) محاولاً بذلك الانتساب إلى سلسلة الفراعين ذوى الحق الشرعى. ولما كان الأمر كذلك، وبالكاد وصل إلى العرش فإنه لم يكن ليتجاوز ذلك ويدّعى الألوهية كما هو ثابت فى حق فرعون موسى.

وقد حكم طبقاً لما ورد فى تاريخ مانيتون اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر. كما أنه لم يرد أن تحتمس الأول مات ميتة فجائية أو غير طبيعية، بل مات ميتة عادية وخلفه ابنه تحتمس الثانى مستنداً إلى زواجه من الوريثة الشرعية أخته غير الشقيقة بنت تحتمس

(١) محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل، ترجمة وتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابى، دار ابن حزم، ١٩٩٧ ص ١٥٦.

الأول (حتشبسوت).

كما أن التواريخ التى أوردها فيما يتعلق بمدة الحكم للفراعنة الثلاثة المذكورين «أحمس» وأمنحتب الأول» و«تحتمس الأول» غير دقيقة وتختلف مع كثير من المصادر التاريخية الموثوقة. إذاً هناك من الأدلة ما يتعارض مع هذه الفرضية وينفيها أيضًا.

الافتراض الثالث

يعتمد أصحاب هذا الافتراض على عملية حسابية ترجح مولد موسى قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بثمانين عاماً، اعتماداً على ما ذكر فى العهد القديم سفر (ملوك أول: ٦: ١): «وكان فى السنة الأربع مائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من مصر فى السنة الرابعة لملك سليمان على بنى إسرائيل فى شهر زيو هو الشهر الثانى أنه بنى بيت الرب». ولما كان حُكم سليمان قد بدأ عام ٩٧٠ ق.م؛ فالعام الرابع من حكمه هو العام ٩٦٦ ق.م فإذا أضفنا إليها الـ ٤٨٠ سنة لعاد ذلك بنا إلى عام ١٤٤٦ ق.م أى فى أواخر حكم تحتمس الثالث ١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م. هذا بالإضافة إلى اعتقادهم بأن الملكة حتشبسوت (صورة: ٩) التى كانت ابنة لتحتمس الأول هى التى عثرت على تابوت موسى وتبنته كما تقول التوراة، ثم تزوجت من أخيها غير الشقيق تحتمس الثانى الذى أصبح فرعوناً واستمر يحكم مصر خمس سنوات فقط. وهى بذلك زوجة الفرعون التى انتشلت موسى من الماء كما يذكر القرآن وكان ذلك عام ١٤٢٧ ق. م وأنه تربى فى بلاطها وضمن حاشيتها.

ولما تولى تحتمس الثالث العرش ونظراً لعداوته السابقة للملكة التى اغتصبت حقه فى الحكم فقد فر موسى من مصر إلى مدين خشية انتقامه وقد اختفت حتشبسوت من التاريخ المصرى سنة ١٤٤٢ ق. م وكان عمر موسى وقتها أربعين عاما. ثم عاد إليها وكان الخروج منها عام ١٤٤٧ق. م. وعلى ذلك فإن فرعون موسى أكثر من شخص، تحتمس الأول الذى اضطهد بنى إسرائيل وتحتمس الثانى الذى قام بتربية موسى وتحتمس الثالث الذى جاء له موسى فيما بعد نبيا مرسلا وهو فرعون الخروج. وممن ينادى بهذا الرأى «مراد محمد محمود الدش» ويرى أن العبور كان من بحيرة قارون وذلك فى كتابه «عبور موسى من بحيرة قارون، وتحتمس الثالث فرعون الخروج».

وهناك مجموعة من الحقائق تعارض هذه الفرضية وتدحضها: أولى هذه الحقائق أن المدة المذكورة فى سفر «ملوك أول» السابقة والمقدرة بـ ٤٨٠ عاماً تختلف فى بعض ترجمات

العهد القديم عن بعض الترجمات الأخرى. فبعضها يجعلها ٤٤٠ عاماً فقط، ومنهم من يزيدها الى ٥٨٠ عاماً! مما يرجح أن يكون هذا الرقم المذكور كان تخميناً من أحد كتبة العهد القديم وليس رقماً دقيقاً لأن هناك ١٢ جيلاً تقع بين الخروج وبين بناء هيكل سليمان. وافترض واضع هذا الرقم لكل جيل ٤٠ عاماً فيكون ١٢ × ٤٠ = ٤٨٠. ولو اقترضنا لكل جيل ٢٥ عاماً بافتراض أن الأبناء سيتزوجون فى سن الخامسة والعشرين وهو افتراض معقول لكان ١٢ × ٢٥ = ٣٠٠ وهذا يقودنا إلى تاريخ الخروج فى عام ١٢٧٠ ق.م، أثناء حكم رمسيس الثانى الذى كان حكمه بين ١٣٠٤ – ١٢٣٧ ق. م. هذا بالإضافة إلى أن فرار موسى من مصر إلى مدين كما أشار القرآن الكريم كان بسبب الخوف الذى تملكه نتيجة قتله للمصرى. كما أن تحتمس الثالث لم يثبت تاريخياً عنه أنه قد أدعى الألوهية بل على العكس من ذلك كان رجلا قد امتاز بشفقته وإنسانيته بل ورحمته بالمغلوبين. فقد رأيناه كما يقول سليم حسن[1] يتجاوز عن سيئات أمراء الحلف الذين تآمروا عليه بعد أن وقعوا فى قبضته فى موقعة «مجدو» فلم يسلبهم عرشهم، أو يحرمهم متاعهم؛ وحتى عدوه اللدود «أمير قادش» وكذلك أمير «تونب» نراهما قد مثلا فى قبر «مدير أعماله «منخبر رع سنب» وقد أتيا إلى الفرعون أحرارا لم توضع فى أيديهما السلاسل ولا فى رقابهما الأغلال مما يدل على أنهما كانا بدورهما قد صفح عنهما. وكذلك نلحظ أن رهائن العدو قد لاقوا معاملة حسنة، وأعيدوا فى نهاية الأمر إلى أوطانهم، ولم نسمع مرة أن «تحتمس الثالث» (صورة ١٠) قد مثّل بأجسام قتلى العدو الذى هزم بصلبهم فى مقدمة سفينته كما فعل جده «تحتمس الأول» وابنه «أمنحتب الثانى». كما أنه كان رجلاً صادقاً متديناً إذا يقول عن نفسه:

«إنى لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته فأقول إنى فعلت شيئاً دون أن يفعله جلالتى ولم آت بعمل فيه مظنّة، وقد فعلت ذلك لوالدى الإله آمون لأنه يعرف ما فى السماء ويعلم ما فى الأرض ويرى كل العالم فى طرفة عين» .

كما أن بنى إسرائيل لم يكن فى استطاعتهم دخول فلسطين بعد سنوات التيه الأربعين لأن النفوذ المصرى كان قوياً فى فلسطين فلقد أسس تحتمس الثالث إمبراطورية واسعة وطيدة الأركان، واستمر النفوذ المصرى قوياً فى منطقة الشرق الأدنى وفى فلسطين بالذات أثناء حكم من خلفه من الفراعنة أمنحتب الثانى ٢٣ عاماً – تحتمس الرابع ٨ أعوام

(١) سليم حسن، مصر القديمة، جـ ٤، ص ٥٠٩.

– أمنحتب الثالث ٣٧ عاماً أى لمدة ٦٨ عاماً. حتى وإن كان النفوذ المصرى قد ضعف قليلاً أيام حكم أختاتون فإنه عاد ثانية بعد انتهاء ثورته الدينية وبلغ أوجه ثانية أيام سيتى الأولى ورمسيس الثانى.

الافتراض الرابع

وصاحب هذا الافتراض هو الدكتور رمضان عبده[1] والذى يقول عنه أنه ليس سوى افتراض قابل للمناقشة يقوم على القول بأن قصة موسى عليه السلام وقعت أحداثها فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ – ١٣٢٠ ق.م)، دون تحديد دقيق لعصر الملك الذى وقعت هذه الأحداث فى عصره، معتمداً فى ذلك على التأويل اللغوى لمجموعة من المفردات اللغوية التى ذكرت فى القرآن والمتعلقة بقصة موسى عليه السلام وأصولها فى اللغة المصرية القديمة والتى يعود معظمها إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة والقليل منها إلى تل العمارنة، ومن هذه المفردات:

«امرأة» فى [سورة القصص]: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ ويردها إلى أصلها فى المصرية القديمة بمعنى mrt مرت أى محبوبته وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة.

«الأسباب – أسباب السموات» فى سورة غافر:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

ويرى أن أصلها فى المصرية القديمة isbt «اسبت» بمعنى «قبة السماء» وظهرت هذه الكلمة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (فى نصوص تل العمارنة) وهى تعنى فى العربية الفصحى «كنه أو سر السموات».

وكلمة «المدينة» فى [سورة القصص – الآيات ١٥، ١٨، ٢٠]:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ

(١) رمضان السيد عبده (دكتور)، دراسة حول تطور علاقة موسى بالمسئول فى مصر فى الفترة التى عاش فيها، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب. جامعة المنيا، العدد الثانى، يوليو ٢٠٠٠.

عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ويرجع أصلها فى المصرية القديمة الى mdn «مدن» وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشر.

وكلمة «الملأ» والتى ذكرت فى [سورة الأعراف – الآيات ١٠٣، ١٠٩، ١٢٧]:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

وفى [سورة الزخرف]: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

ويرجع أصلها فى المصرية القديمة إلى mr «مر» والتى حرفت إلى مل أى ملأ وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة.

«اليم» فى [سورة الأعراف]: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ وفى سورة طه الآيات ٣٩ و ٧٨ و ٩٧.

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾.

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ

إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾. وفى [سورة القصص – الآيات ٧ و ٤٠]:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

وفى [سورة الذاريات]: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ويرى أن أصلها فى المصرية القديمة ym «يم» وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشر.

وكلمة ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ فى [سورة البقرة]:

وفى [سورة طه]: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾.

يرى أن أصلها فى المصرية القديمة db3t «جبات» وتعنى تابوت، وظهرت فى عصر الدولة الوسطى وجاءت منها كلمة Tb.t «تبت» فى العصر البطلمى بمعنى صندوق.

والتابوت هنا فى الآيات يعنى الصندوق الصغير الذى وضع فيه سيدنا موسى رضيعا والذى وضعت فيه فيما بعد بقايا عصاه وألواحه وما تركه هارون مصداقا لقول [سورة البقرة]:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾. ولا تعنى كلمة تابوت هذا التابوت الذى كان أحد القطع الضرورية للدفن فى مصر القديمة.

وفعل «تصطلون» والذى ذكر فى [سورة النمل]:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

وفى [سورة القصص]: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

يرى أن أصله بالمصرية القديمة St3 ستا «نار أو قليل منها» أدخلت عليها أداة التعريف T3 «تا» ومنها جاء الاسم الدفيء . وربما استخدمت أيضاً كفعل بمعنى ينشر الدفيء، وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وفى العربية «اصطلى النار» أى استدفأ بها.

والنهى «لا تنيا» فى [سورة طه]:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾، وأصلها فى المصرية القديمة tnj3 ثنيا فعل بمعنى يضعف، وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشر.

وكلمة «ردءا» والتى ذكرت فى [سورة القصص]:

﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

وأصلها بالمصرية القديمة rd «رد» بمعنى نوع من الرداء، وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة بمعنى رداء. أى جعل له رداء بمعنى "دعمه وقواه" كما فى المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص٣٣٧.

وكلمة "رهوا" التى ذكرت فى [سورة الدخان]:

﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ وأصلها بالمصرية القديمة r3 h3w «رهاو» بمعنى فم النيل (بالقرب من بحيرة المنزلة. ومعناها بالعربية "بحر رهو" أى بحر ساكن، راجع المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص ٣٧٩.

«صرحا» التى ذكرت فى [سورة غافر]:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وأصلها بالمصرية القديمة Srh «سرخ» بمعنى واجهة قصر أو بوابة معبد، وظهرت فى الأسرة الثامنة عشرة وتعنى بالعربية «البناء العالى الذاهب فى السماء»، راجع المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص ١٢.

والفعل «عبَّدت» فى [سورة الشعراء]:

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ويرى أن أصلها فى المصرية القديمة Cbdt «عبدت» بمعنى جعلتهم «أهلاً للاستعباد»، وجاءت من الاسم cbd بمعنى عبد.

«غنمى» فى [سورة طه]:

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾. وأصلها بالمصرية القديمة hnm «غنم» بمعنى «قطيع حيوانات» وظهرت هذه المفردة منذ عصر

الأسرة الثامنة عشرة.

وكلمة «قبس» فى [سورة طه]:

﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ وفى [سورة النمل]:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

وأصلها بالمصرية hbs «خبس» بمعنى «شعلة» وظهرت منذ الأسرة الثامنة عشرة.

وكلمة «وزير» فى سورة طه ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ ﴾، و [سورة الفرقان]:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ ويرى أن أصلها بالمصرية القديمة WSr «وسر» أو وزر بمعنى «قويا» وشاعت منذ الدولة الحديثة وربما قبل ذلك.

وفعل «يعقِّب» فى [سورة النمل – الآية ١٠]:

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وأصلها بالمصرية القديمة i3kb أياكب بمعنى «باكيا» وظهرت فى عصر الدولة الحديثة.

ومن خلال هذه المفردات وغيرها والتى ترجع أصولها فى اللغة المصرية القديمة إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة يصل د.رمضان عبده إلى الافتراض القائل بأن الفترة التى ولد فيها موسى عليه السلام حتى خروجه من مصر تقع بين السنوات الأخيرة من حكم تحتمس الثالث وكل فترة حكم أمنحتب الثانى وتحتمس الرابع وأمنحتب الثالث وبداية حكم أمنحتب الرابع (اخناتون) تقريباً.

فأثناء حكم هؤلاء الملوك الخمسة ولد سيدنا موسى وكبر وأصبح ذا شأن كبير، وخرج من مصر للمرة الأولى وكان يبلغ من العمر ٣٢ عاماً. وقضى فى مدين ثمانى سنوات أو عشر، لذا فهو كلف بالرسالة وسنه ٤٠ عاماً تقريباً، وجاء إلى مصر ثانية لتبليغ رسالة التوحيد إلى فرعون. واستقر فيها فترة ربما بلغت ٣٦ عاماً. وخرج مع قومه فى السنوات العشر الأوائل من حكم اخناتون قبل أن يرحل هذا الملك إلى تل العمارنة فى العام السادس من حكمه. أى إنه عاش فى مصر وخرج منها وعاد وخرج منها للمرة الثانية مع قومه خلال الفترة من

١٤٤٧ إلى ١٣٦٧ ق. م تقريباً.

وهو بهذا يغفل كثيرا من الثوابت فى قصة موسى عليه السلام مثل مكان التقاط امرأة فرعون لموسى وهو طفل رضيع. ولا يذكر تحديداً الفرعون الذى ينسب إليه استعباد بنى إسرائيل وتعذيبهم وذبح أبنائهم مفترضاً افتراضاً غير مدعم بدليل أن فرعون الذى ذكر فى الكتب المقدسة ليس سوى مسئول كبير وليس ملك مصر، مدعياً أن انشغال الملكين أمنحتب الثالث ومن بعده اخناتون بالمشاكل الدينية التى بدأت تظهر فى حكمهما هو الذى أدى إلى تمادى هذا المسئول- الذى لم يحدد هويته أو مكانته فى الدولة- فى ظلمه وجبروته لبنى إسرائيل. وهو بذلك يتفادى ثابت آخر لم يشر إليه وهو غرق فرعون وطفو جثته لتكون لمن بعده آية.

ويحاول الكاتب أن يدلل على فرضيته هذه بما ينسب إلى اخناتون من أنشودة كان يرددها بنفسه تشهد بوحدانية الخالق وقدرته مؤكداً أن هذا ما هو إلا تأثراً برسالة سيدنا موسى عليه السلام الذى كان موجوداً فى مصر قبل اخناتون.

كما يستدل على أن كثيراً من مزامير داود متشابهة تماماً مع أنشودة اخناتون مما يدفعه القول باحتمالية أن يكون اخناتون كان متأثراً بما نادى به موسى وانتقل هذا التأثير بعد ذلك إلى مزامير سيدنا داوود.

كما يسوق مثالا آخر على ذلك متمثلاً فى النصوص الهامة التى انتشرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وهى فصول من كتاب الموتى منها ما ذكر فى الفصل الـ١٢٥ الذى يسمى بالدفاع الإنكارى والذى ينفى فيه المتوفى فى عالم الآخرة اقترافه لجميع أنواع الآثام والمعاصى، ومنها يقول: «أنا لم اقتل، أنا لم أسرق. أنا لم أسبب نزاعاً، أنا لم أكذب، أنا لم أطمع فى أى شىء (يمتلكه الآخرون)، أنا لم أغضب ..أنا لم أقم بالتسلط على الآخرين، أنا لم أكن متكبراً، أنا لم ألعن اسم المعبود، أنا لم أرتكب أية خطيئة».

مثل هذه المعانى يجدها الباحث فى الوصايا العشر لسيدنا موسى (٥) لا تقتل (٦) لا تزن (٧) لا تسرق (٨) لا تشهد على قريبك شهادة زور (٩) لا تشته شيئاً مما لقريبك.

وفى نظرى أن مثل هذه الوصايا الأخيرة ليست حكراً على دين معين ولا على طائفة أو مجتمع بعينه بل هى من مكارم الأخلاق التى يدعو إليها كل دين قويم وكل مجتمع سليم. وعلى فرض تسليمنا بأصول الكلمات المذكورة فى اللغة المصرية القديمة فلا يعنى ذلك بالضرورة التسليم بكل ما ذهب إليه الكاتب من فرضيات خصوصاً أنها تجد الكثير مما يعارضها وتفتقر إلى كثير من الأدلة والحيثيات التى تدعمها.

الافتراض الخامس

يقول بأن توت عنخ آمون (صورة: ١١) هو فرعون موسى. ويتزعم هذه الافتراض عالم النفس اليهودى الشهير سيجموند فرويد[1] الذى كان يقول: إنه قرأ فى علم الآثار أكثر مما قرأ فى التحليل النفسى، حتى إن حجرة الاستشارة الخاصة به كانت متحفاً لآثار جاءت من مصر واليونان وروما والشرقين الأدنى والأقصى. وكان لمصر جاذبية خاصة فى فكر ووجدان فرويد وظل طيلة عمره مبهوراً بكشوف المصريين مثل كشف (قام به فلاحون ريفيون فى ثمانينات القرن التاسع عشر) للوحات وتدية الشكل قادت إلى مزيد من كشوف تل العمارنة عام ١٨٩١ ثم إلى إعادة بناء تلك العاصمة المجهولة التى شيدها اخناتون أو أمنحتب الرابع (صورة ١٢) لتحل محل طيبة كعاصمة للإمبراطورية المصرية. وكان من بين ٢٣٠٠ قطعة أثرية جمعها فرويد بنفسه أثناء حياته ٦٠٠ قطعة مصرية مصرية، كما أنه اختار صورة للمعبد الصخرى الكبير الذى شيده رمسيس الثانى فى أبى سنبل ليعلقها فوق سرير الكشف فى عيادته. ورمسيس الثانى هو الفرعون الإمبراطور العظيم الذى شق طريقه محارباً من جنوبى فلسطين حتى سوريا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. واحتفاظه بصورة للمعبد يظهر انشغال فرويد بالماضى السحيق. ولقد ادَّعى فرويد أيضاً أن موسى مصرى وليس من بنى إسرائيل، وأن الديانة الموسوية مستقاة من عقيدة اخناتون وأن اليهود ألغوا عبادة الشمس من الدين الذى أخذوه عن إخناتون. وكان العنوان الأصلى لكتابه «موسى والتوحيد» Moses and Monotheism هو «الرجل موسى: رواية تاريخية».

.The Man Moses: A Historical Novel

ويرى فرويد أن «موسى» كلمة هيروغليفية تعنى «الابن المحبوب» ونجدها فى كلمة «رع موسى» (رمسيس) و«تحوت موسى» (تحتمس). واستنتج من ذلك أن الأمير المصرى قد أزال الصدر الوثنى من اسمه واستبقى العَجُز الذى لا يدل على اسم إله فى ذاته. ويقول فرويد إن موسى المصرى (الضمير – الحضارة – الكبت – التجاوز – التوحيد) حاول أن يُدخل المدنية على العبرانيين الأجلاف بطوائفهم (اللبيدو ـ الحلولية – الوثنية) ولكنه فشل فى ذلك، بل انتهى به الأمر إلى أن قتله العبرانيون. وهكذا انتصرت الوثنية والبربرية على التوحيد. ولكن كما هو الحال دائماً بعد جريمة قتل الأب (أو المعلم الذى يقوم مقامه)

(١) سيجموند فرويد – موسى والتوحيد، ترجمة جورج الطرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.

شعر العبرانيون بالخطيئة والإثم (والرغبة فى التجـاون) فجـمعوا بين إلههم الوثنى يهـوه وأدوناى/ آتون التوحيدى.

ويدَّعى أن موســى كان أحد الأمراء المصريين المقربين من اخناتون ولكن لما حدثت الرِّدّة بعد اخناتون تم اسـتبعاد موســى، ولما انهار أمله فى حكم بلاده أراد أن يوجد لنفسه دوراً ما كزعيم، فتزعم بنى إسرائيل وأعطاهم ديناً جديداً استقاه من عقيدة اخناتون التوحيدية، ثـم قاد بنى إسـرائيل للخروج من مصر خروجاً سـلمياً – ليس فيه مطـاردة – إلى أرض فلسـطين التى كان النفوذ المصرى قد انحسـر عنها أيام اخناتون لانشغاله بأفكاره الدينية. وكان الخروج فى عهد توت عنخ آمون، ونجح فى الخروج ببنى إسـرائيل من مصر وذلك بأن خادعوا الفرعون وهربوا إلى صحراء سيناء.

ويوافـق على هذه الفرضية آرثر ويجال[1] ويحدد تاريخ الخروج بالعام ١٣٤٦ ق. م ويرى أنه تم فى آخر عهد توت عنخ آمون. ويسـير على غرار هذا الرأى أحمد عثمان فى كتابه «موســى واخناتون ، التاريخ الســرى لمصر فى زمن الخروج»[2] وهو الإصدار المعدل لكتابه الأول «موســى فرعون مصر، وكشـف غموض اسـطورة اخناتون»[3]، الذى يرى أن موسى واخناتون ما هما إلا شـخصية واحدة. وأن تعاليم موســى عليه السـلام ما هى إلا تعاليم اخناتون فى الديانة المصرية القديمة، وتوحيد موســى هو توحيد اخناتون. ويسـتدل على ذلك بما فى كتاب الموتى والتشابه الواضح بين ما فيه وخاصة فى التعويذة أو الفصل ١٢٥ والوصايا العشر لموسى عليه السلام.

وهـذه النظرية أيضاً يدحضهـا العديد من الحقائق التاريخية منهـا أنه من الثابت كما فى الكتب المقدسـة أن موســى من بنى إسرائيل وليس مصرياً، وإن كان قد تربى فى قصر الفرعون.

كمـا أن هذه النظرية تتجاهل النصـوص الدينية فى القرآن والعهد القديم وتغفل ما نزل ببنى إسـرائيل من سـوء العذاب على يد الفرعون وملئه، وهذا لم يرد تاريخياً عن اخناتون أو توت عنخ آمون إذ إن طبيعة اخناتون المسالمة لا تتفق مع ذلك.

---

(١) آرثر ويجال ، تاريخ مصر القديمة، باريس ، ١٩٨٦، ص ١٤٦.

(2) Osman, Ahmed, Moses and Akhenaten: The Secret History of Egypt at the Time of the Exodus. London, Paladin.2002.

(3) Osman. Ahmed. Moses: Pharaoh of Egypt The Mystery of Akhenaten Resolved. London, Paladin 1994.

فضلاً عن بُعد مكان إقامتهم فى شرق الدلتا عن العاصمة التى عاش فيها اخناتون، طيبة فى أول أيامه ثم بعد ذلك فى عاصمته الجديدة فى تل العمارنة.

كما أن التوحيد الذى نادى به اخناتون يختلف فى طبيعته عما كان ينادى به موسى عليه السلام، فتوحيد اخناتون هو توحيد تجسيدى وثنى وليس التوحيد الخالص الذى دعا إليه أنبياء الله ورسله من قبل موسى ومن بعده. فالتوحيد الذى نادى به موسى فى قومه كان عقيدة بنى إسرائيل أخذوها عن يعقوب أبيهم وإبراهيم جدهم عليهم السلام.

وتدعى هذه النظرية أن الخروج تم بسلام وبدون مطاردة فى حين أن الثابت فى الكتب المقدسة أن فرعون الذى طارد موسى قد مات غرقاً، وقد أثبت الفحص الطبى لجثة توت عنخ آمون أنه مات مقتولاً بضربة على الرأس، أو نتيجة لحادثة أدت إلى كسر ساقه وأودت بحياته.

كما لا يعقل أن يخرج بنو إسرائيل من مصر فى عهد توت عنخ آمون ويستقروا فى فلسطين دون أن يكونوا عرضة لحملات من جاء بعده من الفراعنة مثل «حور محب» و«سيتى الأول» أو «رمسيس الثانى».

وكما يذكر د. رشدى البدراوى[1] أنه لما رأى فرويد المعارضة الشديدة لنظريته هذه تراجع عنها وقال إنه من المحتمل أن موسى قد عاش فى عصر لاحق لاخناتون وتوت عنخ آمون! !ويضيف بأن فرويد وهو عالم يهودى كبير بنى رأيه على هدف سياسى مبنياً على أساس أنه ما دام موسى مصرياً فإن لبنى إسرائيل حقوقاً تاريخية فى مصر! كما فعل سلفه المؤرخ اليهودى يوسفيوس ابن متى عندما زعم أن الهكسوس الذين حكموا مصر هم أنفسهم بنو إسرائيل.

الافتراض السادس

يقول بأن موسى قد عاش وجهر بدعوته ثم خرج من مصر كل ذلك خلال مدة حكم حور محب (صورة ١٣) وأربعة من الفراعنة اللاحقين ليكون فرعون الخروج هو مرنبتاح.

والقائل بهذه النظرية هو نيكولاس جريمال[2] الذى يقول بأن موسى تربى وتلقى تعليمه فى سنواته الأولى فى قصر الفرعون «حور محب» و «رمسيس الأول» (صورة رقم ١٤)، ثم

---

(١) رشدى البدراوى. أستاذ بجامعة القاهرة وباحث وكاتب إسلامى عن كتاب موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟.

(2) Nicholos Grimal, A History of Ancient Egypt, Blackwell. 1994, P.259.

عرف أنه من بنى إسـرائيل وانضم إليهم فى عهد «سـيتى الأول»، ثم فر من مصر إلى مدين بعد مقتل المصرى، ثم كان تلقيه الوحى والرسالة والأمر بالعودة إلى مصر فى السنوات الأولى من حكم «رمسـيس الثانى» (سـورة رقم ١٥)، ثم هو يوافق على ما يقوله كثير من المؤرخين من أن فرعون الخروج هو «مرنبتاح».

فلو افترضنا أن حور محب، والذى حكم فى المدة بين (١٣٤٨-١٣٢٠ق.م) أى ٢٨ عاماً، قد تبنى موسى فى منتصف مدة حكمه ورباه ١٤ عاماً يضاف إليها عامان مدة حكم رمسيس الأول (من ١٣٢٠ - ١٣١٨ ق. م) و ١٤ عاماً مدة حكم سيتى الأول (من ١٣١٨ - ١٣٠٤ ق. م) و٦٧ عاماً مدة حكم رمسـيس الثانى (من ١٣٠٤-١٢٣٧ق.م) و ١٣ عاما مدة حكم مرنبتاح (من ١٢٣٦ - ١٢٢٣ ق. م) فيكون مجموع هذه السنوات والتى تعتبر عمر موسى الذى قضاه حتى الخروج ببنى إسـرائيل هى ١١٠ أعوام. فإذا أضفنا إليها سـنوات التيه الأربعين فى سـيناء ثم المسـيرة حول أرض أدوم لبلغ عمر موسى عند وفاته أكثر من ١٥٠ عاماً فى حين عمر موسى لم يزد عن ١٢٠ عاماً.

وبالتالى فإن هذا الافتراض لا يمكن قبوله ليس لهذا السبب فقط بل العديد من المعارضات

[illegible]

[illegible] الخروج [illegible] السـبب [illegible]سـرى للنبى يوسـف» والذى يحارب [illegible] ويلات لنصوص قرآنية وتوراتية ومصادر تاريخية أثرية أن يثبت أن النبى يوسف عليه السـلام والوزير [illegible] صـورة ١٦) وزير الملك تحتمس الرابع (١٤٢٥ - ١٤١٧ ق من الأسرة الـ١٨ هما شخصية واحدة. ليلقى افتراضاً جديداً بأن الصعود المفاجىء للتوحيد مـا هو إلا بفعل أخت «يويـا» الملكة «تى» وابنها اخناتون. ويدعى بأن يوسـف أو «يويا» عندما كشـف عن هويته لإخوتـه قال لهم إن الله منَّ عليه وجعلـه «والد الفرعون» ويذكر أنه خلال العصر الفرعونى الطويل لم يكن هناك شـخص يحمل هذا اللقب «والد الفرعون» سوى «يويا» وزير الملك تحتمس الرابع من الأسرة الـ١٨. مشيراً إلى أن علماء المصريات ظلوا فـى حيرة فترة طويله لكون «يويا»، وهو «وزير» وليس من البيت الملكى، مدفوناً فى وادى الملوك، وأن مومياءه التى عثر عليها فى حالة جيدة ذات مظهر وملامح «سـامية» واضحة

(1) Osman, Ahmed, The Hebrew Pharaohs of Egypt: The Secret Lineage of the Patriarch Joseph, Bear & Company, London, 2003.

كما أن مظاهر دفنه تبدو مختلفة عن التقاليد المصرية فى الدفن مما يرجح ألا يكون من الدم المصرى. ليخلص من خلال بعض الأدلة التى يسوقها إلى أن الخروج حدث فى عهد الملك رمسيس الأول الملك الأول من الأسرة الـ١٩، وأن حور محب هو الملك الذى اضطهد بنى إسرائيل وسامهم سوء العذاب.

بل إن البعض[1] يذهب أبعد من ذلك حين يقول بأن الشعب المختار أو شعب الخروج لم يكونوا عبيداً فى بلد أجنبى ولكنهم كانوا من كهنة مصريين ذوى رتبة عالية ومن المناصرين لإخناتون، وقد تعرضوا للطرد والخروج من مصر إلى المقاطعة المصرية أو الواقعة تحت النفوذ المصرى فى كنعان وأجبروا على ذلك إبان الثورة المضادة بعد موت اخناتون.

مثل هذا الرأى والذى يسبقه لا يمكن قبوله وذلك لأنه يتعارض مع كثير من الثوابت فى القرآن والتوراة والمصادر التاريخية والأثرية.

الافتراض السابع

وهذا الافتراض قائم على أساس أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى، فرعون المولد وفرعون الخروج، وأصحاب هذا الرأى كثيرون.

ويتفق هذا الرأى مع حقيقة مكان معيشة بنى إسرائيل فى أرض جاسان أو جوشن شرق الدلتا وعاصمة رمسيس الثانى الجديدة فى الشمال التى تتيح التقاط موسى من النهر، كما تحقق تسخير بنى إسرائيل فى بناء مدينتى «بررعمسيس» و«فيثوم» المذكورتين فى العهد القديم (سفر الخروج ١ : ١٤). وقد اعترض البعض بأن فرعون موسى ادَّعى الألوهية فى حين أن رمسيس الثانى كان يؤمن بأربعة آلهة هم «آمون» و «رع» و «بتاح» و «سوتخ»، وسمَّى فرق جيشه الأربع فى معركة قادش بأسماء هذه الآلهة[2]. غير أن هذا القول يمكن الرد عليه بأن معركة قادش كانت فى السنة الخامسة من حكم رمسيس الثاني، فى حين أن عودة موسى لمصر كانت فى السنة ٦٢ من الحكم أى بعد معركة قادش بـ ٥٧ عاماً وهى فترة طويلة من الحكم المطلق والمديح المستمر من وزرائه ورجال البلاط ومن الشعب، وتمجيد لأفعاله ولابد أن كل ذلك قد أحدث أثره، وخاصة أنه كان عنده نزعة تعاظمية منذ صغره فكان أن نتج عن ذلك شعور بالكمال وظن نفسه مخلداً كالآلهة وانتهى به الأمر

(1) Messod Sabbah, Roger Sabbah, Secrets of the Exodus: The Egyptian Origins of the Hebrew People, Allworth Press, 2004

(٢) د. محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل، ص ١٥٤.

أن ادَّعى الألوهية.

وهذه حقيقة يمكن الاستدلال عليها مما سجل أو وجد فى كثير من المعابد التى بناها. ولهذا فإن هذه النظرية – أن فرعون موسى هو رمسيس الثانى– تتفق وكثير من النقاط التى يجب توفرها فى ذلك الفرعون:

١ - أنه الفرعون الذى ادعى الألوهية كما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة القصص].

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة النازعات].

وكان تأليه فرعون بعد وفاته أمراً عادياً فى عقيدة القوم، إذ يصير بعد وفاته روحاً وينضم إلى آبائه، ويجوز عندئذ عبادته والتضرع له والتوسل به لقضاء الحاجات. على أن صورة الملك نفسه فى هذه الحالات لا تظهر فى الرسم، بل يستدل عليها من النقوش التى كانت تدون خلف الآلهة وتدل على روح الملك (كا)، وجاء ذلك فى رسوم عديدة على جدران المعابد. إلا أن رمسيس الثانى مضى فى هذا الاتجاه لدرجة أبعد من سابقيه. فقد كان شديد الفخر بنفسه لدرجة تقرب من جنون العظمة فلم يكتف بأن يكون ابناً للآلهة مثل الملوك السابقين وحسب بل كان يعد نفسه إلها، فزعم أنه هو نفسه إله وكان هذا سبقاً له. فأقام لنفسه معابد جعل إهداءها لنفسه، والقرابين تقدم فيها لشخصه باعتباره أحد الآلهة وليس بشراً من نسل الآلهة، بل زاد على ذلك وزعم أنه من كبار الآلهة!

وربما يكون لشخصية رمسيس الثانى وإشراك والده له فى الحكم فى سن العاشرة وإعلانه وليا للعهد فى سن مبكرة، والمديح الذى كان المحيطون به يكيلونه له بلا حساب وفى كل وقت كما يرى البعض، كل هذا خلق فى نفسه شعوراً بالتعاظم. فإذا أضفنا إلى ذلك طول مدة حكمه التى بلغت حتى ذلك الوقت ٦٣ سنة لأدركنا لماذا ظن نفسه إلهاً، فالآلهة هم المخلدون.

وفيما يلى أمثلة على تأليه رمسيس الثانى لنفسه:

● هناك مجموعة من النصب التذكارية فى متحف «هلدسهايم Hildesheim تصور «رمسيس الثانى» كملك مؤلَّه فى شكل تمثال على هيئة إله الحرب «مونت Mont، وقد

عثـر عليها أصلاً فـي «هوربيط» وفى «قنطير». والأولى تقع فى شـرق الدلتا إلى الغرب من الثانية، وهى المستعمرة العسكرية التى أقامها الرعامسة فى شرق الدلتا، وفيها كان الفرعون الحى المؤلَّه يعبد أيضاً فى شكل إله الحرب الشهير بواسطة جنوده المقيمين فى هذا المركز العسكرى بالقرب من حدود مصر الشرقية.

● وفـي معبد «الدر» والذى أقامة «رمسـيس الثانى» وأهداه كمـا فى نص الإهداء إلى والده المعبود «حور آختى»، وفى قاعة الأعمدة المربعة المنحوتة فى الصخر نشـاهد على جدارها الخلفـي صور الآلهة الذين كانـوا يعبدون فى هذا المعبد، وهم «بتـاح» و«آمون رع» والملك «رمسيس الثانى» و«حور آختى». وهكذا كان يؤلَّه رمسيس الثانى فى هذا المعبد أيضا.

● وفى معبد «جرف حسين» الذى يقع على الضفة اليمنى من النيل الذى سماه مؤسـة رمسـيس الثانى «بر بتاح» أى بيت بتاح والذى أقامه «سـتاو» حاكم بلاد النوبة فى تلك الفترة باسـم رمسـيس وأهداه للإله «بتاح» رب «منف» وزوجه «سخمت» وابنهما «نفرتم». ففى القاعة العظيمة المنحوتة فى الصخر فى هذا المعبد مُثِّل على جدرانها رمسـيس الثانى بين «آمون رع» و «موت»، وبين «حور» سـيد كوبان و «حور» رب بوهن، وبين «بتاح تنن» والبقرة «حتحور»، وبين «بتاح» و «سـخمت»، وكذلك نشـاهده بين «خنوم» و «عنقت»، وبين «نفرتم» و «ساتت»، وفى قاعة أخرى مثل فيها الفرعون أمام آلهة أخرى وكان فيها مؤلهاً أيضاً.

● فى معابد بلاد النوبة يظهر رمسـيس الثانى مؤلهاً فى صورة إله كأى إله آخر وليس فـي صـورة تمثال. فمثلاً فى معبد أبى سمبل فى قـدس الأقداس الذى يحتوى على قاعدة منحوتـه فى الصخر ليوضع عليها القارب المقدس، وخلفها نشـاهد تماثيل الآلهة الأربعة الذين يقدسـون فى هذا المعبد وهم : «بتاح» و «آمون» و «رمسـيس الثانى» فى صورة إله ثم «حور اختى»، صورة (١٧).

● كما تظهر بنفس المعبد صورة رمسـيس الثانى مؤلها برأس صقر. أى إنه فى هذه الحالة يمثل إله الشمس، ومكتوبا بجوارها: (رمسيس الإله الأكبر) ويظهر فى رسم آخر فى صورة إنسان ولكن على رأسه قرص الشمس ومكتوبا تحتها (رمسيس الإله الأكبر رب السماء).

● ومنظر ثان يظهر فيه رمسـيس الثانى وفى يده السـيف ممتطياً عربته ومعه جيش يسير فى ركابه وبجانبه جواده، وأسـده الأليف يتبعه، وسبقه صفان من الأسرى السود مكبلين فـي الأغلال، والمتن المفسـر لهـذا المنظر يقـول: «الإله الطيب يضـرب الجنوب ويحطم

الشـمال، والملك المحارب بسـيفه، والطارد إلى أبعـد مدى أولئك الذيـن يتعدون أماكنه الحصينة.....».

● وفى منظر ثالث نشـاهد رمسيس وبيده القوس يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالوث طيبة وهم آمون وموت وابنهما «خنسـو»، وقد كتب المتن التالى فوق صورة رمسـيس والأسرى السود: «إحضار الجزية بواسطة الإله الطيب لوالده آمون رع رب طيبة...».

● وفى معبد أكشـة ببلاد النوبة مثل فى صورة إنسـان ولكن الكتابة بجواره تقول «وسر ما عت رع ستبن رع (اسم رمسيس الثانى) الإله الأعظم رب النوبة».

● وفى معبد «سـره» وقد أقامه رمسـيس الثانى فى جنوب بلدة «سـره» على الضفة اليمنى للنيل على مسافة عشرة أميال شمال حلفا، وجد نقش مكرر على أحد الأبواب يقول: الباب العظيـم للفرعون «وسـر ماعت رع سـتبن رع» قد عمله بمثابة أثـر لصورته الحية فى بلاد النوبة، واسمه الجميل الذى وضعه جلالته هو «وسـر ماعت رع» سـام فى قوته» ومن ذلك نعلم أن رمسيس الثانى كان نفسه رب هذا المعبد.

● وفـى قاعة الأعمدة الرئيسـية بمعبد الكرنك: ومن بـين النقوش التى تخلد نص الإهداء الذى ينسـب فيه رمسيس هذه القاعة لنفسـه: نجد نقشا مكتوبا فى النهاية: يعيش الإله الطيب الذى يقيم آثاراً لوالده «آمون رع».

● وفى زيارة لمعبد الكرنك لفت نظرى وجود نقش مكرر على جميع إحدى صالات الأعمدة (صورة ١٨)، فسـألت عن معنى هذا النقش فكانت الإجابة أنه يعنى بالهيروغليفية (نب ريخيت دوا رع مسـس، أوسـرماعت رع) فكانت ترجمته «كل الناس أو كل الشـعب (أى الشعب المصرى) يتعبد إلى رمسيس الثانى».

ويـدل ما بقى من نقوش وآثار فى معبد «رمسـيس الثانى» الذى أقامه بالعرابة على أنه رفع بنيانه فى هذه البقعة المقدسة لعبادة والده «أوزير» ولعبادته هو بوصفه إلهاً.

● وفى أحد المنحوتات الجدارية بالمتحف المصرى بتورين بإيطاليا نراه صور نفسـه واضعاً على رأسه الرمز الإلهى ويجلس بين الإله (آمون) والإلهة (موت) ويداه متشابكتان معهما، صورة (١٩).

● نقش على تمثال لابنه الأمير «خع ام واس» وهو موجود بالمتحف البريطانى بلندن ويمثله واقفاً يمسـك بعلمين فى يده اليمنى ويده اليسـرى. ولقد نقش على العلم الذى باليد اليمنى «الإله الطيب، رب الأرضين «وسرماعت ستبن رع» محبوب التاسوعين اللذين فى العرابة.

● وهنـاك لوحة للوزير «رع حتب» وزير رمسـيس الثانى محفوظة الآن فى متحف ميونخ تمثل الوزير يتجه نحو تمثال رمسـيس الثانى ويقول: الصلاة لروحك (أى تمثال رمسـيس الثانى) الإله الأكبر الذى يسـمع.... الرجال، ليته يعطى الحياة والصحة والفطنة والمديح و.... إلى الأمـير الوراثـى وحامل المروحة على يمين الفرعـون، وعمدة المدينة، الوزير «رع حتب» فى «بررعمسـيس» محبـوب «آمون». ولقد نقش على هذا التمثال «رمسـيس حاكم الحكام، والإله الأكبر وسـيد السماء مخلداً». وهذا يدل على أن الوزير فى هذه اللوحة كان يتعبد لرمسـيس الثانى كما يتعبد أى موظف لأى إله. وفى الجزء الأعلى من نفس اللوحة نشاهد رمسيس الثانى يقدم البخور ويصب الماء لتمثاله. وفى هذا دليل على عبادة رمسيس الثانى لنفسـه بوصفه إلهاً مدة حياته والحث على هذه العبادة فى صورة تمثاله كالتماثيل التى كانت تنحت للآلهة.

● وما هو موجود بمعبد «السـبوعة» والذى سمى بهذا الاسـم لأن الردهة الرئيسـية للمعبد يحتل الممر بها سـتة تماثيل «أبو الهول» فى صورة أسـد يرتـدى كل منها التاج المزدوج. ويقع هذا المعبد على الضفة الغربية للنيل، ويسمى بالمصرية «بر آمون» أى بيت آمون. وقد أهداه رمسـيس الثانى لكل من الإله «آمون» وإله الشـمس «رع حور اختى»، وكان رمسيس ضمن الآلهة الذين كانوا يعبدون فيه. وفى قاعة جانبية لقدس الأقداس مثل على جدرانها الفرعون مع آلهة متعددة، ولكن ما يلفت النظر فى هذه النقوش صورة رمسيس الثانى يقدم قرباناً لصورته هو (أى أن رمسيس الثانى كان يتعبد لتمثاله).

● وجد جعل منقوشاً عليه «ليت الشمس» «وسر ماعت ستبن رع» (اسم من أسماء رمسيس الثانى) يفلح أرواح كل الأرض» وقد استعمل لفظة الشمس فى هذه الحالة لتعبر عنه.

● وفى نقوش جبل السلسلة رسم لوزير يصلى لروح الإله (بتاح) ويرى الملك رمسيس الثانى واقفا بين الوزير المتضرع والإله بتاح. بما يفهم منه أن الملك كإله حى ينقل التضرع إلى الإله بتاح. وقد كتب تحت رسم الملك: الإله الطيب (رمسيس الثاني) ابن الإله (بتاح).

ومن هذه الأمثلة نستدل على أن رمسيس الثانى قد ألّه نفسه أثناء حياته مختلفاً فى ذلك عن كل من سبقه أو لحقه من الفراعنة فى ذلك مما قد يرجح أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الثانى.

٢ - أنه الفرعون الذى كان وزيره وكبير مستشاريه يدعى «هامان».

وتذهب كثير من التفاسـير إلى أن هامان هذا كان وزيراً للفرعون، وإن لم يكن فقد يكون

مستشاراً خاصاً له أو رجلاً مقرباً من البيت الملكى[1]. ويرى آخرون أن هذا الاسم – لو رد إلى أصله بغير تصحيف– نجده من الأسماء المصرية التى كانت شائعة فى ذلك الزمان وهو حورمين أو حارمين. وقد عرف بهذا الاسم رجل من عهد سيتى الأول وآخر من عهد ابنه رمسيس الثانى. كان أولهما كاتب الملك وحامل الأختام والمشرف على حريم الملك، وكان ثانيهما كاتب القصر أو بلغتنا الحديثة رئيس الديوان الملكى أو كبير الأمناء[2][3]، وربما كان مدير قطاع المبانى فى حاشية فرعون. كما أدرج اسم هامان تحت وظيفة رئيس عمال مناجم الأحجار وذلك فى نقش على لوح حجرى محفوظ بمتحف فيينا بالنمسا[4]. وقد كلف هذا الوزير ببناء صرح من الطين المحروق للفرعون كما ذكر القرآن:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة غافر].

﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة القصص].

ومما يذكر أن المبانى – حتى ذلك الوقت – كانت تقام من الطوب اللبن غير المحروق أو الحجارة. فكانت كل المدن مبنية بالطوب اللبن ما عدا المعابد والقصور فكانت من الحجر، والذى كانت أنواعه متعددة ما بين الحجر الجيرى الأبيض الناصع وغير الناصع، والحجر الرملى الأحمر والأصفر، والحجر الجرانيتى الوردى والأسود، والبازلت الأسود والرخام والمرمر وغيرها، هذا بالإضافة إلى وفرته فى محاجر مصر المختلفة.

ومن الملفت للنظر أن المصريين القدماء لم يتخذوا الآجر المحروق فى البناء قبل العصر الرومانى، وقد أول البعض من المفسرين أمر فرعون إلى هامان أنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة.

ويمكن القول بعبارة أخرى أن البناء بالآجر قد كان يومئذ فى بدايات استعماله. ففى أواخر عهد رمسيس الثانى تم اكتشاف أن حرق اللبن يجعله أكثر صلابة وأطول عمراً، ولا توجد آثار بنيت بالطوب الأحمر قبل عصر رمسيس الثانى. فقد عثر (بترى) – عالم

---

(١) تفسيرالقرطبى، تفسير الجلالين، تفسير بن كثير.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة ، ج٦، ص ١٦٨، ٥٦٠.

(٣) أحمد عبد الحميد يوسف ، مصر فى القرآن والسنة،٢٠٠١، ص ١٠٤.

(٤) د. عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام الرفاعى، مصر قبل الإسلام الدين والنبوة، دار الزهراء، ٢٠٠٠. ص ١٣٤.

الآثار – على عدد من الطوب المحروق بنيت به قبور وأقيمت به بعض أساسات المنشآت ترجع إلى عصر الأسـرة التاسعة عشرة، عصر رمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الثانى، عثر عليها فى نبيشـة ودفنة غير بعيدة عن عاصمتهم مدينة قنتير أو برعمسـيس شـرق الدلتا، وقال فلندرز بترى فى ذلك: «إن حرق اللبن قد ظل نادراً حتى عصر الرومان»[1].

ولعل السـرد القرآنى لبناء الصرح فى سـورة القصص، والنص على طريقة صنع الآجر بحرق الطين فيه إشارة إلى أن الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام هو أول من اكتشف هذه الطريقة ويكون ذلك دليلاً آخر على أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى.

وهكذا قال رمسـيس الثانى لوزيره هامـان أن يبنى له برجاً عالياً حتى يرى الإله الذى يقول موسى إنه إلهه وإله العالمين، وقال له إنه يعتقد أنه لو فعل ذلك فلن يجد شيئاً لأنه يظن موسى كاذباً فى قوله:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة غافر].

وقالوا إنه وقد وصل إلى هذه النتيجة فإن الصرح لم يبن، وهذا ما نعتقده، إذ إن أى بناء فى عصرنا الحالى يبنى بالطوب والإسمنت – حوائط حاملة – أى بدون أعمدة خرسـانية لا يجب أن يزيد عن ٦ أو ٧ طوابق على الأكثر أى ٢١ متراً فهو لن يكون مرتفعاً بالنسـبة لبعض المسـلات التى كانت تبلغ ٢٩ متراً أو تمثالـه الذى وجدت بقاياه فى صان الحجر (تانيس) والذى كان يبلغ ارتفاعه ٢٨ متراً والمعروض الآن بمتحف ميت رهينة (صورة ٢٠). وكان الطـين هـو المادة اللاصقة فى المبانى، فلا يزيـد ارتفاعه بالطوب الأحمر والطين عن ٥ طوابق أى ١٥ متراً فلا يعتبر بناء هائلاً يقنع الناس بعدم وجود إله إذا صعد عليه.

وقيل إنه بنى فعلاً بناء عالياً وصعد عليه ثم نزل فقال للناس، لم أجد الإله الذى يقول به موسى، وقال لهم ما علمت لكم من إله غيرى.

٣ - أنه الفرعون الطاغى المستعلى المتكبر كما ذكر القرآن

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة طه].

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة طه].

(١) د. محمد بيومى مهران، دراسات تاريخية فى القرآن الكريم، جـ ٢، ص ٣٢٥.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القصص].

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة يونس].

﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الدخان].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة غافر].

وإنه الفرعون الذى أذاق بنى إسرائيل العذاب واستعبدهم وقتّل ابناءهم واستحى نساءهم. وهو ما يثبت فى القرآن كما يشير القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القصص].

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة غافر].

وكما ورد أيضاً فى العهد القديم فى سفر التكوين (١٥ : ١٣) إذ ذُكر كنبوءة لإبراهيم عليه السلام:

«فقال لإبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويُستبعدون لهم فيُذلونهم أربعة مائة سنة». كما ذكر عدة مرات فى سفر الخروج: «فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف، ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل، كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً» (خروج ١ : ١٤).

«وتنهد بنو إسرائيل من العبودية » (خروج ٢ : ٢٣).

وكما يرجح الكثيرون أن موسى عليه السلام قد ولد فى عهد رمسيس الثانى والذى قد

تورط فى سياسة من القتل وسفك الدماء. ففى ربيع عام ١٢٨٧ ق.م كانت معركة قادش مع الحيثيين أو الخيتيين فى سوريا، والتى كانت بدايتها فى غير صالح رمسيس الثانى فقد تعرض لخدعة كان بطلاها جاسوسين من «الشاسو» أى البدو.

فقد زحف رمسيس الثانى بجيشه حتى إذا بلغ بلدة شابتوتا (ربلة الحالية) على نهر الأورنت (نهر العاصى) وعسكر على ربوة تشرف على الوادى الفسيح التى تقع مدينة قادش فى شماله. دخل معكسره اثنان ادّعيا أنهما يتكلمان باسم إخوانهم رؤساء قبائل البدو وأنهم يعرضون الولاء والتحالف مع مصر بدلاً من الاستعباد الحيثى. وأخبرا المصريين بأن حاكم خيتى ما إن سمع بمقدم فرعون حتى ارتعد وتقهقر بجيوشه إلى ما حول حلب فى الشمال. فعبر رمسيس الثانى نهر العاصى ثم سار إلى مرتفع شمال غربى قادش وأقام معسكره هناك فى انتظار وصول باقى فيالق الجيش ليتابع السير فى أثر جيش «خيتا» الذى كان يظن أنه فى الشمال حسبما أخبره الجاسوسان. وهنا أكتشف أنه وقع فريسة لخدعة كبيرة، فقد وقع فى أيدى فرق استطلاعه جنديان من جيش العدو كانا فى مهمة لاستكشاف موقع جيش المصريين وعدده.

وبتعذيبهما اعترفا أن جيش الحيثيين فى مكان شرقى قادش وهو فى طريقه ليعبر نهر العاصي، وأن الجاسوسيين كانا خدعة من ملك خيتا. وأدرك رمسيس الثانى هول الكارثة المتوقعة، وراح يوبخ ضباطه على إهمال فرق الاستطلاع. وأعاد ترتيب الفيلق الذى يرأسه (وهو فيلق «ست» من مدينته (برعمسيس) استعداداً لهجوم العدو، كما أرسل الرسل على عجل إلى بقية فيالق جيشه ليسرعوا السير، وهم فيلق «بتاح» الذى كان جنده من منف ومصر الوسطى، وفيلق «آمون» وجنده من طيبة. وفى هذه الأثناء كان نصف الجيش الحيثى قد عبر مخاضة نهر العاصى وهاجم الفيلق الموجود هناك وهو فيلق رع بينما الجنود يسيرون فى استرخاء غير متوقعين القتال، وتشتت الفيلق ودمر تماماً، ثم تابع جيش «خيتا» تقدمه حتى أصبح فى مواجهة فيلق آمون، وبدأ فى مهاجمته ورأى جنود فيلق آمون بقايا الجنود من فيلق رع يجرون مذعورين تتبعهم عاصفة التراب التى تثيرها عربات العدو وهى تلاحقهم فدب الذعر فى قلوبهم ولم يدروا ماذا يفعلون حتى أحاط جنود العدو بهم. ثم اندفعت فرقة من جنود العدو تهاجم الجناح الغربى من الفيلق، وهنا أظهر رمسيس الثانى شجاعة فائقة، إذا اندفع على عربته وقاتل الفرقة المهاجمة بشراسة اليائس والغاضب من تخاذل قواته. وبهت ضباط الفرقة المهاجمة من هذه الشجاعة وقدروا أن كل جنوده

سيحاربون مثله فضعفت عزيمتهم وارتبكوا. وفى نفس هذه اللحظة كان فريق الفتوة (وهم الفيلق الذى اختاره رمسيس ليحمى ظهره) قد وصل من الغرب وبدأ فى مهاجمة العدو من الخلف. وظن الحيثيون أن فريق الفتوة هذا مقدمة جيش كبير فتخاذلوا فى القتال كما أن الغبار الذى كان يثيره فيلق «بتاح» بدأ يظهر فى الأفق من ناحية الجنوب. وشدد رمسيس الثانى عليهم القتال ففروا هاربين عبر النهر يلقون أنفسهم فيه طلباً للنجاة، ووصل فيلق «بتاح» أرض المعركة وبدأ يشترك فى المطاردة وفى جمع الأسرى.

وذهل ملك «خيتا» لما آلت إليه نتيجة المعركة مع أن جزءً كبيراً من جيشه كان لا يزال فى الشرق ولم يشترك فى المعركة ولو تقدم واشترك فيها لكان النصر حليفه، ولكن ملك «خيتا» ارتد بباقى جيشه لما رأى فرار جنوده وأرسل يطلب وقف القتال والصلح وكان التعب قد حل بجيش رمسيس أيضاً فقبل الصلح.

ولا شك أن رمسيس الثانى بعد المعركة قد شعر بأنه قد تعرض لخدعة كبرى كادت أن تكلفه حياته، وقد كلفته فيلقاً كاملاً من جيشه وهو فيلق «رع» بأكمله. كما فقد فيلق «آمون» عدداً كبيراً من الجنود، ولم يتمكن رمسيس الثانى من النصر الذى كان يرجوه، وكل ما حصل عليه هو وقف القتال وبقاء الحال كما هو. إذ لم يتمكن من الاستيلاء على قادش ولا على أرض أمورو. ولعله فى قرارة نفسه أضمر أن يحقق ذلك فى معركة أخرى فى المستقبل، وبدأت مسيرة العودة إلى أرض الوطن. وأخيراً وصل فى عربته اللامعة يتبعه طابور طويل من الأسرى ليدخل السرور على شعبه! وهناك جزء من نقش جدارى بالمتحف المصرى بالقاهرة يصور رمسيس الثانى وهو يأخذ بزمام أسرى من أجناس مختلفة يهم بقتلهم ببلطته (صورة ٢١).

ويرى البعض أن الخدعة التى سلبت الفرعون انتصاره فى معركة قادش كان لها صلة ببنى إسرائيل، وأن جنود رمسيس الثانى – بعد المعركة – أخذوا الأسيرين اللذين خدعا الفرعون وضربوهما كما هو مسجل بالصورة على الآثار، ولعل الأسيرين اعترفا بأنهما من (العبيرو) وأنهما فعلا ذلك بتدبير من العبيرو الذين كانوا فيما يبدو طائفة من طوائف اليهود. و «العبيرو» أو «الخبيرو» لم يكونوا طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قوماً رُحل يتألفون من سلالات مختلفة ويحمل معظمهم أسماء سامية.

ويذكر سليم حسن[1] أنه من الصعب أن يضع الإنسان تعريفاً يحدد به هذه الطائفة قبل رقيهم فيما بعد ووصولهم إلى مرتبة طائفة قومية هى طائفة اليهود. ولا ننس أن إبراهيم عليه السلام وهو جد اليهود هو «هاعبرى» أى البدوى.

وكانت الكتابات المصرية تشير إليهم بوصفهم (العابيرو فى أرض كنعان). ثم أصبح بعد ذلك لفظ (العابيرو) يطلق على بنى إسرائيل المقيمين بمصر أيضاً. وقد عثر على خطاب من رئيس عمال يقول فيه: «لقد أرسلت الطعام (للعابيرو) الذين يسحبون الأحجار للصرح العظيم لمعبد رمسيس محبوب آمون».

كذلك فإن الحرص على تسجيل ضرب الأسيرين بالصورة على جدران معبد أبى سمبل يمكن أن يكون له دلالة غير مجرد تسجيل الواقعة، ففى كل الحروب يوجد جواسيس. كما كان الأليق أن تخفى واقعة خداع الفرعون لا أن تعلن على الملأ هكذا، إلا أن تكون رسالة موجهة إلى المصريين لأخذ جانب الحذر من (العابيرو) المقيمين بمصر وهم بنو إسرائيل.

ولو نظرنا إلى ما رُكِّب فى بنى إسرائيل من ميل إلى العزلة وكراهية الاختلاط مما قد يحجب نفوسهم وولاءهم عن ذلك البلد الذى آواهم وأطعمهم، أو النظر إلى ما طبعوا عليه من المكر والدهاء والسعى إلى المصلحة غير النزيهة، وتطلعهم إلى الخروج من مصر إلى (الأرض الموعودة)، ونبحث كيف يمكنهم تحقيق ذلك، فليس عندهم الأسلحة ولا الجند المدرب الذى يمكنهم من اقتحام الأرض وإخراجها من دائرة النفوذ المصري، لوجدنا أنه ليس أمامهم إلا صفقة يعقدونها مع ملك «خيتا» بأن يساعدوه على هزيمة الجيش المصرى، فينحسر نفوذ مصر عن فلسطين، وتعطى لهم بذلك الأرض الموعودة وتخلص الشام والساحل الفينيقى وأرض أمورو لملك «خيتا».

ويمكن أيضا الاستدلال على ذلك أيضاً من الإشارة التى ساقها العهد القديم فى سفر الخروج (١: ٧ – ١٠) على لسان فرعون:

«هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض».

ولعل رمسيس الثانى قد توصل إلى هذا الاستنتاج وشعر أنه قد طعن فى ظهره ممن آوتهم مصر وأطعمتهم وأكرمتهم على مدى عدة قرون، ومن هذا كان سوء العذاب الذى صبه فرعون دونما رحمة أو شفقة على بنى إسرائيل. ولم يكتف بإنزال العذاب بهم بل وضع خطة

---

(١) سليم حسن، مصر القديمة، جـ ٤، ص ١٩٦.

لاستئصال شأفتهم، فأعطى الأوامر إلى قتلهم عاماً وتركهم عاماً فيقل عددهم فلا يخشى بأسهم، وفي نفس الوقت تبقى المنفعة من تسخيرهم في أعمال البناء، كما أشار إلى ذلك سفر الخروج (١: ١١ - ١٤):

«فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينة مخازن فيثوم ورعمسيس، ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن، وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا».

من هنا كان تسخير بني إسرائيل في أعمال البناء والأعمال الشاقة وتكبره واستعلاؤه عليهم.

كما يمكن القول بأن تعذيب بني إسرائيل وتسخيرهم وما يفترض من شدته على عهد رمسيس الثاني ومن بعده، ربما يكون له علاقة بكثرة ما قام به من معابد ومنشآت ومدن وقصور وقبور مقارنة بقلة ما قام به خلفاؤه، حيث وجد في بني إسرائيل (كما نفهم من سفر الخروج ٥ : ٦ - ١٨) وغيرهم من الأسرى الأيدي العاملة والقوى البشرية التي تساعده على تنفيذ ما يصبو إليه، والتي تحتمل عن المصريين الأعمال الدنيا والأعباء الثقيلة من اقتطاع الحجر وضرب اللبن ونقله إلى موضعه من البناء.

وتذكر بردية ترجع إلى عهد رمسيس الثاني بمتحف ليدن بهولندا أنه استخدم بإشراف الشرطة في جر الحجر لبناء صرح ضخم في معبد له طائفة سميت «عبر» والتي تقترب في منطوقها من العبرانيين أو أنه العبيرو تلك الطائفة التي تنسب إلى العبرانيين، وإن تردد بعض العلماء في القطع بانتساب أولئك إلى هؤلاء.

٤ - **أنه الفرعون صاحب الأوتاد**، فهو الفرعون الذي وصفه الله تعالى بأنه:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة ص].

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الفجر].

وهو وصف يوحي في النفس بإحساس الهول والشموخ لما يحمله لفظ الأوتاد من دلالة على الجبال الشاهقة كما ورد في ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النبأ] وقد ينسحب هذا على الصروح الراسية والمعابد الشاهقة والأعمدة الضخمة والمسلات العالية المدببة التي إذا نظرنا إلى إحداها وهي مقلوبة لوجدناها أقرب ما تكون إلى شكل الوتد. ولو شمل مُلك

فرعـون أرض مصر بما عليها ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سـورة الزخرف] لأدخلنا الأهـرام وهى كالجبال فى علوها فيما يوصف على الأسـلوب القرآنى بالأوتاد. وأوتاد جمع وتد، وهو ما يثبت فى الأرض أو الحائط من خشب ينتهى بطرف مدبب[1].

وإن كان ثمة خلاف عند أهل التأويل فى معنى الأوتاد هذه، فمنهم من يرى فى الأوتاد أنهم الجنود الذين يشـدون لـه أمره ويقوون مُلكه أى فرعـون ذو الجنود، أو مجاز للزوم الأوتـاد لخيام الجند[2]. ولقد كان لرمسـيس الثانى أجناد كثيرون خاض بهم مع المشـرق حروباً وحافظ بهم على إمبراطورية عظيمة امتدت من الفرات فى أقصى الشمال إلى الشلال الرابع على النيل فى أقصى الجنوب، واسـتغلهم فى حملاته التأديبية الكثيرة للوبيين فى الغرب.

أو هـى أوتاد حقيقية من خشـب وحديد كانت تسـتخدم فى التعذيـب مثلما فعل مع امرأته آسـية وماشـطة ابنته، فكان يشد المعذَب بضرب وتد فى كل من أطرافه الأربعة فى الأرض، يدقها فى الأرض ويرسـل عليه العقارب والحيـات، ويتركه حتى يموت، وقيل ترفع صخرة فتلقى عليه فيموت[3]. غير أنه لم يسـجل عن المصريين مثل هذه الوسـيلة من التعذيب وإنما كان الضرب بالعصا هو وسـيلة التعذيب البسـيط أما القتل فكان يتم ببلطة الحرب أو بالخوزقة.

أو أن هـذه الأوتـاد كانت بنايات ضخمة كان يعذب النـاس فيها[4]. وقيل[5] إن القرآن الكريم شـبه فرعون هنا فى ثبات ملكه ورسـوخ سـلطته ببيت ثابت أقيم عماده وتثبتت أوتاده، على سبيل الاستعارة وكما قال الشاعر العربى الأعشى:

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد.

وإذا أخذنا بأن هذه الأوتاد يعنى بها الأعمدة الشـاهقة فى هذه الحالة نجد أن رمسيس الثانى، كما يذكر د. رشدى البدراوى، كان أكثر الفراعنة إقامة للأعمدة.

---

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ ، ص ١٠٢٠.

(٢) تفسير الطبرى

(٣) ابن كثير، والقرطبى.

(٤) تفسير الجلالين.

(٥) تفسير الألوسى.

ففى معبد سيتى الأول فى أبيدوس والذى كان رمسيس الثانى قد بدأ بناءه فى صباه عندما أوكل إليه والده إقامة المنشآت والمبانى وهو فى سن العاشرة، ثم أكمل بناءه بعد أن تولى الحكم منفرداً. نرى أن المعبد به ما لا يقل عن ١١٢ عموداً. وبمعبد رمسيس الثانى فى أبيدوس ٥٠ عموداً. وفى معبد الأقصر الذى بدأه أمنحتب الثالث وأضاف إليه رمسيس الثانى فناءين بهما عدد كبير من الأعمدة يصل إلى ٩٠ عموداً (صورة ٢٢).

وفى قاعة الأعمدة بالكرنك (صورة ٢٣): قام رمسيس الثانى بإقامة معظمها، وبها ١٢٤ عموداً مرتبة فى ١٦ صفاً وتشغل مساحة ٥٠٠ متر مربع.

ويضيف أنه إذا أخذنا بهذا التفسير – وهو أن الأوتاد تعنى الأعمدة – لكان رمسيس الثانى هو صاحب أكبر عدد من الأعمدة فى المبانى التى أقامها. إلا إنه يرى أنه لو كان المقصود بالأوتاد أنها الأعمدة لذكرها القرآن بذلك، فقد سبق ذكر وصف المدينة التى أقيمت فى أرض عاد قوم هود بذات العماد أى ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ ﴾ [سورة الفجر].

فلو كان المقصود هو الأعمدة لقيل: وفرعون ذى العماد أو صاحب العماد تمشياً مع وحدة الاسم إذا توحد المعنى، وإن كانت بعض التفاسير تقول بأنه المقصود بالعماد وقيل معنى ذات العماد ذات الطول.

ولو كان المقصود بالأوتاد البنايات الضخمة والصروح العالية فسنجد أن رمسيس الثانى أيضاً هو صاحب أكثر الصروح والمبانى.

فقد كان رمسيس الثانى أعظم ملك أقام مبانىَ من حيث الضخامة والروعة. ويذكر سليم حسن[1] أنه ليس من المبالغة أو الإسراف القول بأنه لا يكاد يوجد مبنى أثرى فى البلاد من الشلال الثانى حتى مصب النيل إلا عليه اسم رمسيس الثانى يضاف إلى ذلك المبانى والآثار التى خلّفها فى «فلسطين» وغيرها من البلاد التى فتحها فى آسيا.

وعلى الرغم من أنه قد جار على أسلافه كثيراً باغتصاب كثير من آثارهم ونسبتها إلى نفسه مدة حكمه الطويل الذى قارب السبعة والستين عاماً، فإننا لو تفحصنا كل الآثار التى تنسب إليه وحده لوجدناه على الرغم من ذلك أعظم الفراعنة المشيدين للآثار فى مصر

(١) سليم حسن، مصر القديمة، جـ ٦، ص ٣٣٣.

وغيرها من أملاك الإمبراطورية فى آسيا وبلاد النوبة.

أو أن هذه الأوتاد قد يراد بها تلك المسلات المرتفعة الباسقة ذات الطرف العلوى المدبب (صورة ٢٤) والتى نحتت من كتلة واحدة من الصخر والتى إن قلبت تشابهت إلى حد كبير مع ذلك الوتد الشائع استخدامه لتثبيت أركان الخيام وهو ما يذكره د. رشدى البدراوى ونميل إليه. وعدد المسلات التى أقيمت قبل عصر رمسيس الثانى تبلغ حوالى ٣٠ - ٣٢ مسلة وكانت كالتالى:

سنوسرت الأول: ٢ مسلة، تحتمس الأول: ٢ مسلة، حتشبسوت: ٦ مسلات، تحتمس الثالث: ٩ مسلات، أمنحتب الثالث: ٢ أو ٦ مسلات، اخناتون: واحدة أو لا شىء، حورمحب: مسلات صغيرة، سيتى الأول: ٢ مسلة. فى حين أن رمسيس الثانى وحده أقام ما لا يقل عن ٣٥ مسلة. فى هليوبوليس: أقام ٤ مسلات على الأقل ثلاث نقلت إلى روما والرابعة إلى فلورنسا.

وفى حطام أتريب (بنها) وجدت بقايا مسلتين وقاعدتاهما، وكانت أجزاء بعض المسلات قد استعملت فى بعض المبانى، ونقلت قاعدة إحدى المسلات إلى متحف برلين والثانية موجودة بالمتحف المصرى.

وفى تانيس: توجد أجزاء من ٢٣ مسلة محفور عليها اسم رمسيس الثانى كانت كلها فى المعبد الكبير عبارة عن خمسة أزواج (١٠ مسلات) و ١٣ مسلة فرادى وإحدى هذه المسلات كانت سليمة وهى التى نقلت إلى القاهرة وأقيمت فى جزيرة الزمالك بجوار برج القاهرة.

وفى الأقصر أطول مسلات رمسيس الثانى ففى الجزء الذى أضافه إلى معبد الأقصر أقام مسلتين إحداهما نقلت إلى باريس والثانية لا تزال باقية فى مكانها إلى اليوم، ولعلها هى المسلة الوحيدة المقامة فى مكانها منذ عهد رمسيس الثانى إلى اليوم (صورة ٢٥). وكل من هاتين المسلتين كان يبلغ ارتفاعهما ٢٥ متراً، وهى على ذلك تعتبر من أطول المسلات. وتوجد بقايا عدد من المسلات فى الكرنك كلها محطمة وتوجد قاعدة مسلتين عند البوابة الشرقية بالإضافة إلى أجزاء من مسلات أخرى.

وفى أبى سمبل: أقام فى المعبد مسلتين: الشرقية عليها نقوش تُمثّل رمسيس الثانى بتعبد إلى «حور اختى» والغربية تصف الملك بأنه (محبوب آمون).

ويتضح لنا أن رمسيس الثانى هو صاحب أكبر عدد من الأوتاد وبذلك ينطبق عليه الوصف

الذى أطلقه القرآن الكريم على فرعون موسى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة ص]. وهذا يضيف برهاناً آخر على أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى.

٥ - أن الله دمر ما كان يصنع وما كان يعرش

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف]. فكلمة يعرشون تعنى أعمدة عليها عريشة، والعريش ما يُستظل به[1]، وكما سبق ذكره كان رمسيس الثانى أكثر الفراعنة رغبة فى تخليد اسمه وذكراه فأقام هذا العدد الهائل من معابد بها مئات الأعمدة. وأقام من المسلات عدداً يفوق ما أقامه الفراعنة الآخرون مجتمعين وصنع لنفسه عدداً كبيراً (حوالى ١٠٠) من التماثيل. منها حوالى ٣٠ بالغة الضخامة منها تماثيله الضخمة بأبى سمبل (صورة ٢٦) ومنها تمثاله الضخم من الحجر الجيرى بمنف ويبلغ طوله ١٣ متراً ولا يزال فى الموضع الذى أقيم فيه، وتمثاله الآخر الذى أقامه أحد ضباط ثورة يوليو عبد اللطيف البغدادى فى ميدان محطة مصر بالقاهرة والذى سمى الميدان باسمه فيما بعد (ميدان رمسيس) ثم انتقل أخيراً ليكون فى المتحف المصرى الجديد المزمع إنشاؤه بالقرب من الهرم.

ولا ينافس رمسيس الثانى فى ضخامة تماثيله من ملوك مصر القدماء سوى أمنحتب الثالث كما فى تمثالى ممنون وتمثاله الضخم بالمتحف المصرى. كما وضع رمسيس نفسه بين الآلهة فيما لا يقل عن ١٥ تمثالاً. هذا بخلاف ما تحطم وما لم يستدل عليه، وبخلاف مئات بل آلاف الصور والنقوش التى تمثله فى عربته وحروبه أو يستعرض الأسرى أو يعاقبهم أو تمثله فى مواقف يتعبد فيها للآلهة أو يتعبد الموظفون له.

ولكننا لو فحصنا هذه الآثار، كما يذكر د. رشدى البدراوى، لوجدنا معظمها قد تهدم ولم يبق منه إلا بعض قطع من الحجارة عليها اسم رمسيس الثانى تدل على أن أثراً ما كان له فى هذا المكان، ولعلها كانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يبقى عدد قليل من هذه الآثار سليماً بعض الشىء لندرك عِظَم ما شيّد وضخامة التماثيل التى صنعها. إذ لو دمّرت بالكامل لاندثر ذكره ولم يستدل عليه ومن هنا كان الإبقاء على معابد النوبة سليمة. بل وقيض الله لها من يعمل على إنقاذها من الغرق فى بحيرة السد العالى لتظل شاهداً على

(١) المعجم الوسيط، جـ ٢، ص ٥٩٩.

أعمال هذا الفرعون.

ولئن كان هذا الدمار قد حدث بعد وفاة رمسيس الثانى فقد كانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يريه – حال حياته – بعض الدمار فى آثاره وهو ما لم يحدث لأحد من الفراعنة قبله أو بعده. وحدث الدمار فى أثرين كان رمسيس الثانى يعتز بهما أيما اعتزام وهما معبد أبى سمبل الكبير ومعبد الرمسيوم.

والأول يعتبره البعض أعظم بناء ضخم أقامه إنسان فى زمانه. وكان رمسيس الثانى قد بدأ فى إقامته فى السنة العاشرة من حكمه واحتفل بافتتاحه رسمياً فى السنة الرابعة والعشرين من حكمه، وتمر الأعوام ويحتفل رمسيس الثانى بالعيد الثلاثينى الأول وأقيمت احتفالات ضخمة فى المعبد بهذه المناسبة. ولم تمر بعد ذلك بضعة أشهر حتى حدث زلزال شديد ضرب منطقة النوبة واهتزت المنطقة.

وما حدث بمعبد أبى سمبل الكبير كان مأساة مفجعة كما يقول العالم كتشن[1] Kitchen إذ تشققت الأعمدة الضخمة وتكسر بعضها وانهار. وكذلك انهار العمود الثانى والتمثال الملكى فى الجانب الشمالى من الحجرة الأولى وتحول إلى حطام، وكذلك أصاب الدمار الواجهة ذاتها إذ انهارت الدعامة الشمالية لباب المدخل الرئيسى وسقطت ذراع التمثال الأول من الناحية الشمالية والمجاور للباب.

ولكن الخسارة الكبيرة كانت فى سقوط النصف العلوى بأكمله للتمثال الجنوبي: الرأس والذراعين والأكتاف، وتكسرت اللوحات على الحوائط وكان المنظر فظيعاً والموقف حرجاً بالنسبة لنائب الملك على منطقة النوبة (باسر) ولم يكن فى وسعه أن يقف مكتوف اليدين أمام هذا الدمار. وبدأ على الفور خطوات الإصلاح التى كللت بالنجاح إلى حد كبير، وأعيد بناء الأعمدة التى سقطت أو تصدعت. وتم تدعيم أعمدة القاعة الكبرى بمبانى، وهذه أتاحت مساحة إضافية لنقش مباركة من الإله (بتاح) مؤرخة بالعام ٢٣ من حكم رمسيس الثانى. وأعيدت ذراع التمثال التى سقطت وتم سندها بقطعة من الحجر كتب عليها اسم رمسيس الثانى وأعيد بناء دعامة الباب ولكنها تركت خالية من النقوش. وكان هذا أقصى ما أمكن للوزير (باسر) عمله، ولعل ذلك الترميم لم يلق قبولاً تاماً لدى رمسيس الثانى فعين بدلاً منه نائباً آخر للنوبة.

---

(1) Kitchen, Kenneth. Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II King of Egypt. London: Aris & Phillips(1983), p.35.

وكان هـذا النائـب الجديد هو المبعوث الحيثـى هوى huy الـذى كان مرافقاً للأميرة الحيثية عند حضورها إلى مصر للتزوج من رمسـيس الثاني. وقد عينه نائباً له على النوبة لمدة ٤ سـنوات (٢٤ – ٢٨) ولكنه لم يفعل الكثـير فى ترميم معبد أبى سمبل ثم تولى بعده هذا المنصب «سـيتاو» Setau وظل فيه لمدة ربع قرن تقريباً (من السـنة ٢٨ إلى السـنة ٦٣ من حكم رمسيس). وكان «سيتاو» نشطاً ومثابراً وكتب على لوحة: «لقد عُينت نائباً للملك على النوبة. وقد وجهت الفلاحين بالآلاف وعشرات الآلاف ومن النوبيين مئات الآلاف. وقد أوكلت إلى مهمة بناء معبد رمسـيس الثانى فى الضفة الغربية (وهو معبد أبى سمبل). وقـد أعدت بناء معابد النوبة كلها تقريباً والتى كانت قد سـقطت إلى حطام، وقد أعيدت كأنها جديدة باسم جلالته العظيم»، ودوّن ذلك تذكاراً ليبقى إلى الأبد. وبالرغم من ذلك لم يسـتطع إعادة الرأس إلى مكانه فبقى ملقى على الأرض، وحتى لما قامت منظمة اليونسـكو برفع المعبد إلى مكان أعلى من مكانه الأصلى حتى لا تغرقه مياه بحيرة السـد العالى فإنها حافظت على حاله وتركت أجزاء التمثال المهشمة كما كانت، (صورة ٢٧).

وفى العام ٤٤ قام النائب «سـيتاو» ببناء باقى المعابد التى فى الضفة الغربية وهى معبد السـبوعة ومعبد جرف حسـين، وسخّر فى بنائها أسـرى ليبيين. إذ وجدت لوحة كتبها ضابـط اسمه «راموس» يقول فيها: السـنة ٤٤: أمر جلالتـه – نائبه فى النوبة، المخلص «سـيتاو» بالإضافة إلى وحدة من جيش رمسـيس الثانى – يحميه والده آمون – بأن يأخذ أسرى من أرض الليبيين لبناء معبد رمسيس الثاني، وقد أمر جلالة الملك الضابط «راموس» بتجريد حملة من الجنود لهذا الغرض.. وهكذا أغارت فرقة الجيش على جنوب ليبيا فى الصحراء الغربية وقامت بتسـخير هؤلاء الأسرى فى ترميم ما تهدم وفى بناء معبد السبوعة وجرف حسين.

كان معبد الرمسيوم (صورة رقم ٢٨) أسوأ حظاً، إذ لمّا أصابه الزلزال لم يمكن إعادته إلى حالته الأصلية كما حدث فى أبى سمبل.

وقد أقيم الرمسـيوم كمعبد جنزى على الضفة اليمنى من النيل ليكون مكاناً فاخراً لحياة أخرى لرمسـيس الثانى، حيث تقام الشـعائر لتبجيله وتعظيمه إلى الأبد. وكان يسـمى فى المصرية القديمة (بيت ملايين السنين المتحدة مع طيبة) ولكن الأمور لم تسر كما كان يهوى الفرعون فقد سـقط النصف العلوى من التمثال البالـغ الضخامة الذى كان مقاماً فى الردهة الأولى. سـقط الرأس والأذرع والكتفين والصدر كتلة واحدة وتهدمت البوابة تماماً، ولا يزال

نصف التمثال هذا ملقى على الأرض منذ سقوطه صورة (٢٩). إذ يبدو أنه كانت هناك صعوبات فنية تحول دون إعادته إلى مكانه فوق الرجلين. وحالته تشبه إلى حد كبير حالة التمثال الضخم الآخر الموجود بجوار معبد الأقصر (صورة ٣٠)، كما سقطت كذلك رؤوس التماثيل الأصغر حجماً التى كانت مقامة فى الردهة الثانية بالمعبد الأخير (صورة ٣١). ولا شك أنها قد رممت وأعيدت إلى مكانها ولكنها بمضى الوقت سقطت ثانية.

ومعبد الراسيوم الآن فى حالة من الحطام.

ويذكر سليم حسن[1] أنه لم يبق من المناظر التى كانت تزين جدران هذا المعبد والتى كانت سجلاً تاريخياً عظيماً إلا نحو سُبع ما كان منقوشاً فى الأصل. وهذه البقية الباقية لا تعطينا إلا فكرة ناقصة عن المعبد ومحتوياته. وقد استعمل هذا المعبد بمثابة محجر منذ تاريخ لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، غير أننا نعلم أن رمسيس الثالث قد نقل منه بعض أحجار إلى معبده بمدينة «هابو».

ومن المحتمل أنه اقتفى أثر هذا الملك ملوك آخرون منذ عاد النشاط إلى إقامة هذا المعبد فى عهد الأسرة الرابعة والعشرين. فنرى أنه لم يمض خمسون عاماً على موت «رمسيس الثانى» حتى بدىء بتخريب معبده فى الرمسيوم. وبعد ذلك بألف عام لم يبق من هذا المعبد قائماً إلا نصفه. وفى أيامنا لا نرى منه إلا بقايا أعمدة، وتماثيله الشامخة منها المحطم طريح الأرض ومنها ما فقد رأسه وجل أجزاءه.

وهذه ترجمة النقوش التى قرأها «ديودر الصقلى» على تمثاله الضخم:

«إنى «أرسيماندياس» (أى رمسيس الثانى باليونانيه) ملك الملوك فاليفوقُنى فرد ما فى عمل من أعمالى..».

ولقد كان من ضمن ألقاب رمسيس الثانى فعلاً أنه كان يُدعى «حاكم الحكام» أو بعبارة أخرى «ملك الملوك» فى بعض نقوشه.

أما معبد رمسيس الثانى بالعرابة فقد وصل إلى حالة سيئة من التخريب والتدمير ولو حكمنا على مكانة هذا المعبد من بقايا جدرانه ونقوشه فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان على جانب عظيم من الفخامة ودقة الصنع والجمال مما لا يضارعه فيه مبنى آخر من المبانى التى تركها لنا رمسيس الثانى. إذ لم يستعمل فى إقامته الحجر الجيرى الأبيض فحسب بل كذلك الجرانيت الأحمر والجرانيت الأسود والحجر الرملى والمرمر.

وفى عاصمته التى أنشأها وسماها «بررعمسى» أى «دار رمسيس حبيب آمون» والتى

(١) مصر القديمة، جـ٦، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

أنشـأ فيها قصوراً فخمة مزخرفة بكل مهارات المصريين وحولها أنشـأ دوراً لأعضاء الأسرة المالكة والموظفين العظام من حاشيته، أقيمت فى مختلف أنحائها ثكنات ومصانع. وجاهد رمسـيس الثانـى لجعل مدينته وعاصمته الجديدة منافسـاً لمدائن مصـر العظمى بل لطيبة ذاتها. وقد حفظت أوصاف لمدينة بررعمسـى تتحدث بجمالها واتساعها ورخائها، ومنها ما انحدر إلينا عن كاتب يدعى «بيبسا» فى رسالة منه إلى رئيسه يقول:

«بررعمسـى مقام طيب للسـكن: ريفها حافل بكل طيب، وبهـا الأطعمة والأغذية كل يوم، وفى بركها السـمك وفى غدرانها الأطيار، وروابيها مخضرة بالكلأ.. والرمان والتفاح والزيتون وتين الحدائق ونبيذ كانكيمى المعتق الذى يفضل العسل.. تبحر سفنها وترسو فإذا الأطعمة والأغذية فيها كثيرة، أقبل ولتحتفل من أجلها بأعيادها السـماوية وأيام أعيادها ..اسكن واسعد وتجول حراً عندئذ بغير اضطراب»[1].

على أن الغريب فى مدينة بتلك المنزلة كمدينة «بررعمسى» عاصمة مصر أمداً يربو على قرنين أن يصعب تحقيق موقعها على يقين. فقد حددت المدينة فى أطلال تانيس بحكم ما فى هذه الأخيرة من آثار ضخمة، وان كان كثير من ذلك قد أُتىَ به من مدن أقدم، إذ كان الحجـر فـى الدلتا نادراً وكان للكثير من الآثار أكثـر من موطن واحد. فقد كانت المحاجر بعيدة وكان أيسر أن يتم استغلال أحجار المواقع القديمة بدلاً من جلب حجر جديد. ولئن كانت أطلال «تانيس» تشمل آثاراً بنيت يوماً فى «بررعمسى» فإن هذه الأطلال لا تقع فوق مدينة «بررعمسى». إذ تقع المنطقة التى يسلم أكثر العلماء بأنها بقايا «بررعمسى» من تحت القرية المتواضعة «قنطير» وما حولها، وذلك على بعد ثلاثين كيلومتراً من «تانيس».

وعلى الرغم من أن ما كشف عنه من ذلك الموقع لم يتجاوز قلة من أشياء وكتل الحجر، فإن البقايا إنما تجلو دلائل لا تنكر على قيام قصور لرمسيس الثانى فى هذه المنطقة. ويبدو يقيناً كأنما قوضت آثار الرعامسـة فى «قنطير» حيث أعيد اسـتعمال أحجارها فى تزيين منشـآت تالية وبخاصة فى «تانيس». وهكذا كان مصير تلك المدينة الضخمة فائقة الجمال فى زمانها والتى بناها رمسيس الثانى لتكون عاصمة ملكه، حيث تحولت إلى أطلال بالية ومحجر لأخذ الأحجار منها لبناء المعابد والمبانى فى المدن الأخرى.

ومما يروى عن الخليفة المأمون العباسى عندما أقبل على مصر، فأقام فيها أياماً لم تعجبه فقـال: ألا قبّح الله فرعون ماذا أعجبه فى مصر حيث يقول ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ

(١) لبيب حبشى، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مسلات مصر، ناطحات السحاب فى الزمن الماضى، ١٠٨.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الزخرف - الآية ٥١]، فقال له أحد جلسائه: "يا أمير المؤمنين ولقد قال الله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف]، فإذا كان هذا هو ما بقى مما دمر الله فكيف كانت مصر قبل ذلك؟

٦- وهو الفرعون الذى كان مصيره الغرق وصارت جثته عبرة لمن جاء بعده.

وقد أشار القرآن إلى ذلك فى أكثر من موضع:

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يونس].

وهكذا غرق فرعون ونجى ببدنه ليكون لمن خلفه آية. ولم تكن آية لمن خلفه جيلاً أو جيلين بل بقيت لعشرات الأجيال ومئات السنين. ويمكن استنتاج أن يكون حادثة الغرق لم يشاهدها غير عدد محدود من رجال البلاط وبعض القادة والكهنة ممن كانوا مع فرعون فى مطاردة بنى إسرائيل ونجوا من الغرق. كما يمكن القول بأن الكثير من العوام لم يسمع بها، فقد كان الأمر عندهم فيما يبدو أن الفرعون قد توفى كما توفى غيره من الفراعنة، فهو كما فى حالة رمسيس الثانى قد بلغ من العمر عتيا حيث بلغ ٩٠ عاماً وحكم مصر ٦٧ عاماً ولذلك لم يستغرب الناس وفاته.

ومما لا شك فيه أن التقاليد المصرية القديمة كانت تقتضى بأن يتم الحفاظ على الجثة وتحنيطها ذلك أن الفرعون يجب أن يدفن وينعم بالطقوس الجنزية التى تكفل له مثوى طيبا ليحيا فى العالم الآخر حياة طيبة. حيث كان المصريون القدماء يعتقدون أن الخلود بعد الموت لا يتحقق إذا تحلل جسد الميت، وقالت عقيدتهم بأن الموت لا يقطع الصلة بين الروح والجسد فكل منهما يعتمد على الآخر، وكلٌ تآكل فى الجسد بعد الموت يسرق من الروح جزءا، وتحلل الجسد يعنى فناء الروح، ومن هنا نشأ فن التحنيط.

وقد يكون أفراد البلاط الملكى ممن نجا من الغرق قد قاموا بتحنيط جثة الفرعون ونقل التابوت إلى طيبة ليدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه فى وادى الملوك.

فقد أعد رمسيس الثانى لنفسه مقبرة حفرت فى وادى الملوك - وتعرف بالمقبرة رقم

٧ – إلى عمق أربعمائة قدم فى الصخر وممرها يبلغ نحو مائة وخمسين قدما، ويؤدى هذا الممر إلى قاعة عظيمة تبلغ مساحتها أربعة وأربعين قدما مربعا، كما تحتوى على أربع حجرات أخرى.

وليس للمقبرة شهرة مقبرة والده سيتى الأول (صور ٣٢ – ٣٤) من جهة النقوش وجمالها والرسومات وروعتها على الرغم من كبر مساحتها، ويرجع ذلك كما يذكر سليم حسن[1] إلى أنها مملوءة بالرمال والطين وقد نهبت فى الأزمنة القديمة.

ولقد كان من المألوف قديماً انتشار ظاهرة سرقة المعابد والمقابر وخاصة المقابر الملكية ومقابر الأمراء والأثرياء ونهب ما فيها وزادت جماعات اللصوص وشجعهم على ذلك ما كانت تحويه من كنوز ثمينة ومن أثاث جنزى وحلى وأدوات الحياة اليومية والاستعمال المنزلى.

ولقد تراخت سلطة الدولة فى عصر الأسرتين الـ ٢٠ والـ ٢١ وأصبح العرش ضعيفا، فانتهز كبار الموظفين الفرصة وصار الحراس متهاونين. ووجد اللصوص الفرصة لسرقة المقابر ولم يحترموا قداسة الموتى، ولم يخشوا الملوك فنظموا العصابات، ولم تستطع لجان التحقيق التى شكلت الوصول إلى الجرائم أو الحد منها. وفى سجلات المحاكم القديمة وجد ما يقطع بأن قبور أمنحتب الثالث، وسيتى الأول ورمسيس الثانى قد نبشت ونهبت.

ونظراً لاستمرار نهب المعابد واستمرار التعدى على المقابر وامتداد هذا التعدى إلى مقابر الملوك المنعزلة فى وادى الملوك، استقر رأى رجال الإدارة وكهنة آمون على الحفاظ على مومياوات الفراعنة فحسب. حيث وضعت مومياوات ثمانية من الملوك فى حجرة جانبية من مقبرة الملك «أمنحتب الثانى» (صورة ٣٥).

ولنفس هذا السبب فإن مومياء رمسيس الثانى قد أعيد لفها فى كفن خارجى جديد ووضعت فى تابوت خشبى عادى للتمويه، ونقلت إلى مقبرة والده سيتى الأول مع مجموعة أخرى من جثث الفراعنة السابقين. وسُجِّل على الكفن أن ذلك تم فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث فى السنة ٢٤ من حكم رمسيس الحادى عشر. ولما كان رمسيس الحادى عشر هو آخر فراعنة الأسرة العشرين وحكم ٢٧ سنة فإن العام الذى أعيد فيه تكفين ودفن جثة رمسيس الثانى كان فى عام ١٠٨٩ ق. م أى بعد وفاته بـ ١٢٧ سنة.

ولكن العبث بالمقابر الملكية لم يتوقف، فنقلت جثته فيما بعد إلى مقبرة «أمنحتب الأول». وأخيرا فى نهاية الأسرة الثانية والعشرين صممت السلطة الإدارية على صيانة المومياوات

(١) سليم حسن، مصر القديمة، جـ ٦، ٣٥٦.

الملكيـــة من العبث بها مرة أخـــرى، فدفنوها معاً حيثما اتفق مع ملوك الكهنة المنتســـبين للأســـرة الحادية والعشـــرين فى مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد هذه الأســـرة بالقرب من الدير البحرى. وســـجلوا أن ذلك قد تم فى الســـنة العاشرة من حكم الملك «سيامون» فى عـــام ٩٦٩ ق.م. وردم المدخل تماماً وبقـــى القبر الجديد بعيداً عن عبث اللصوص لأكثر من ٢٨٠٠ سنة.

وهكـــذا بقيـــت جثة أو مومياء رمســـيس الثانى مع الملوك الآخرين فى أمان حتى ســـنة ١٨٧٥م عندما كشـــف فلاحو هذه الجهة هذا المدفن الجماعى للمومياوات والذى سمى فيما بعـــد بـ«خبيئة الدير البحرى» وتحتوى على جميع المومياوات ومن بينها مومياء رمســـيس الثانـــى. حيث عثر فلاح مصرى هو وإخوته مصادفة على مدخل المقبرة وأخفوا اكتشـــافهم وظلوا يترددون على المقبرة سراً يأخذون منها ما خف وزنه وغلا ثمنه مثل الجواهر والحلى وأوانى الأحشـــاء حتى اختلفا فذهب أحدهم إلى قسم الشرطة واعترف بالأمر بعد أن كانت قد مرت ١٠ سنوات على اكتشافهم لها.

وفـــى ٦ يوليو عـــام ١٨٨١م تم نقل كل محتويات خبيئة الديـــر البحرى من مومياوات وأثـــاث جنائزى فى باخرة إلى القاهرة حيث أودعـــت فى المتحف المصرى فى بولاق. غير أن نقل المومياوات من مكان إلى آخر قد سبب بعض العطب لها، وبخاصة مومياء رمسيس الثانى حيث نقلت إلى ضريح «ســـعد» ثم نقلت بعد ذلك إلى بيت مدير مصلحة الآثار قبل أن تستقر فى النهاية فى الطابق العلوى بالمتحف المصرى.

٧ - وأنه الفرعون الذى التقت امرأته وابنته موسى وربتاه

وكما سمتها السنة النبوية الشريفة ومفسرو القرآن الكريم بـ «آسيه» وآمنت بموسى عليه السلام. فقد قال ﷺ:

« كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيه امرأة فرعون ومريم بنت عمران.. وإن فضل عائشـــة على النســـاء كفضل السريد على الطعام» رواه مسلم والبخارى وابن ماجه والإمام أحمد.

وآســـيه هو اســـم كما يرى الدكتور أحمد يوسف[1] لا شك مصحوفاً عما يكاد يكون أشهر أسماء المصريين الأقدمين وهو إيســـت وآست، ومن أشهر من انتقل إلى الإغريق والرومان ثم إلينا مصحوفاً فى «إيزيس».

(١) أحمد عبد الحميد يوسف، مصر فى القرآن والسنة، دار الشروق، ص ١٠٨.

ولقد كان من كبريات أزواج رمسيس الثانى من تسمت باسم «آست نفرت» أى «آست الجميلة». ولقد كانت «نفرتارى» كما يذكر كثير من المؤرخين هى الزوجة الأولى الرئيسية للفرعون «رمسيس الثانى». غير أن بعض المؤرخين الذين فحصوا الموضوع عن كثب قد وضعوا أمامنا حقيقة هامة تستدعى الفحص من جديد وهى أن «آست نفرت» كانت أم الأمراء الذين كان لهم حق وراثة العرش. فلقد كان من أولادها «رمسيس» الابن الثانى للفرعون، و«خع ام واس الثانى» الابن الرابع والوارث للعرش حتى مماته فى السنة الخامسة والخمسين من حكم والده، ثم «مرنبتاح» الابن الثالث عشر وخليفة والده على العرش، ويضعها البعض الزوجة الرئيسية لرمسيس الثانى. غير أنها لم تحظ فى الآثار بما حظيت به نفرتارى ولم يكن لها مقبرة مثل مقبرة نفرتارى فى الفخامة والجمال والتى كانت أجمل وأفخم مقابر ذلك العصر (صور ٣٦ - ٣٨). بينما تكاد تحظى هذه الملكة بكثير من التجاهل فيما وصل إلينا من هذا العصر مقارنة بباقى زوجات رمسيس أيضاً.

وكذلك حملت نفس الاسم الأميرة «آست نفرت» ابنته والتى تزوجت من أخيها «مرنبتاح» الذى أصبح فيما بعد ملكاً على مصر بعد والده. فكانت كذلك امرأة فرعون وكانت أم ابنه الفرعون «سيتى الثانى» (صورة ٣٩)، والتى يرى البعض - هؤلاء الذين يرون فى مرنبتاح فرعون موسى - أنها المقصودة بتربية موسى عليه السلام.

٨ - ذلك الفرعون الذى أشار العهد القديم إلى قتل ابنه البكر أو هلاكه:

«فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى البكر، فقلت له أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه، ها أنا ذا أقتل ابنك البكر». سفر الخروج (٤: ٢٢ - ٢٣).

«فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة».

سفر الخروج (٥: ١١).

«فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن وكل بكر بهيمة، فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين. وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت» (الخروج ١٢: ٢٩ - ٣٠).

وتذكر كتب التاريخ أن رمسيس الثانى قد فقد ولده البكر الأمير «آمون حر ونمف» ثم

بعد ذلك الأمير «خعمواسـت» فى طفولتهمـا كما تثبت ذلك النقوش التى على معبد «بيت الوالى». وقد كان الأول يعد الوارث للعرش، ولا يستبعد أن يكون الاثنان بكرين حيث يكون للملك أكثر من زوجة واحدة وأنجب من كل منهن ولدا بكرا.

وأخـيراً، ومع كل هذه التوافقات المؤيدة لأن يكون رمسـيس الثانى هو فرعون موسـى والحقائـق التـى تثبت صحة هذه النظرية إلا أن عدة اعتراضـات حالت دون القبول التام لهذه النظرية وهى:

الاعتراض الأول يتمثل فى أن ذلك يختلف مع ما ذكر فى العهد القديم بسـفر الخروج ٢ : ٢٣ «وحـدث فـى تلك الأيـام الكثيرة أن ملك مصـر مات» والذى يعنـى أن الفرعون «رمسيس الثانى» قد مات وتولى ابنه «مرنبتاح» العرش. غير أنه يمكن القول أن كاتب العهد القديم اضطر لهذا القول لسببين.

السـبب الأول: أن يتمشـى ذلك مع عمر موسى الذى قرروه فى الإصحاح السابع الفقرة السـابعة من سفر الخروج: «وكان موسـى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كَلَّما فرعون»، الفرعون الجديد. ولما كان موسـى قد فر من مصر وعمره ٤٥ سـنة كان معنى ذلك أنه أمضى فى مدين ٣٥ سـنة، وهى مدة طويلة جداً لا يسـتقيم معها أن يفكر موسـى بعد ذلك فى العودة إلى مصر. ويكون بنو إسـرائيل فى هذه الفترة قد نسـوا بطلهم ولا يعود لهم الحماس لقيادته لهم بعد أن غاب عنهم هذه الفترة الطويلة.

والسـبب الآخر أن القول بموت الملك يتمشى مع ما جاء بسفر الخروج (٤ : ١٩) «وقال الرب لموسى فى مدين، اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك». مع أن كلمة «جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك» لا تعنى فرعون بقدر ما تعنى أهل المصرى القتيل، فهم الذين كانوا يطلبون نفس موسى وكان الفرعون ينفذ طلبهم بالثأر لهـم والأخذ بدمهـم، فلما ماتوا لم يعد لدى الفرعون دافع قوي. لهذا قد يسـتقيم القول: «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا» وليس «ملك مصر مات» فى (الخروج ٢ : ٢٣) ليتفق مع ما ذكر فى الخروج (٤ : ١٩).

الاعـتراض الثانـى: يتمثل فـى تلك اللوحة المعروفة باسـم «لوح إسـرائيل» أو «لوح مرنبتـاح» والتى كتبت على الأرجح فى العام ١٢٢٠ ق. م وفيه يقول مرنبتاح: إنه قد أباد بذرة إسـرائيل من فلسطين، ولما كان الخروج قد حدث فى العام ١٢٢٥ ق.م فهذا لا يترك فترة بين الخروج من مصر ودخول أرض فلسـطين سـوى ٥ سـنوات. وهذا ما جعل كثيراً

من المؤرخين – وخاصة الإسلاميين يرفضون الرأى القائل بأن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج لأن القرآن الكريم ينص صراحة وبوضوح على أن فترة التيه أربعون سنة.

ولم يتصد أحد لتفسير ما جاء بلوح مرنبتاح تفسيراً يسمح بفترة التيه، كما لم يفطنوا إلى ما قد يكون فى هذا اللوح من مبالغة، وهو أمر مألوف لدى الفراعنة عند تسجيلهم لما قاموا به من أعمال وخاصة نتائج حروبهم، بل تشبثوا بحرفية ما جاء فى هذا اللوح.

والاعتراض الأخير ضد هذه النظرية يرى أن رمسيس الثانى كان له ما لا يقل عن مائة ولد ما بين ذكر وأنثى، فى حين أن البعض يفهم من السياق القرآنى فى [سورة القصص – الآية ٩] أنه قد تبنى موسى بناء على رغبة زوجته ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ۝٩﴾ لأنه لم يكن له ولد أو أنه كان عقيماً. وهذا فهم خاطىء فلم يكن التبنى بسبب عقم الفرعون أو عقم نسائه، بل كان حرماناً مؤقتاً من الولد بوفاة الأبناء وهم صغار حتى تنفذ إرادة الله فى تبنى الفرعون لموسى، فقد أنجب رمسيس الثانى ولدين فى بداية حياته وهما: «آمون حر ونمف» و«خعمواست الأول» وأنهما ماتا فى طفولتهما كما تثبته النقوش التى على معبد «بيت الوالى». ثم بعد ذلك زالت هذه العلة وعاش أبناؤه حتى بلغوا أكثر من مائة، وقد ثبت أن رمسيس الثانى – فى عشر السنوات الأولى بعد زواجه – كان أبناؤه يموتون وهم رُضَّع، وهذا هو سبب قبوله لتبنى موسى.

الافتراض الثامن

يرى أن فرعون الميلاد والتسخير هو رمسيس الثانى وفرعون الخروج هو مرنبتاح. وعلى رأس المنادين بهذه النظرية موريس بوكاى(*) الذى قام بفحص مومياء كل من رمسيس الثانى (صورة ٤٠) ومرنبتاح (صورة ٤١) فى السبعينات من القرن الماضى.

وفى دراسات له[1][2]، قام بعمل مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة كان ملخصها: أن القرآن لا يذكر أسماء أماكن سواء كان ذلك بالنسبة للمدن التى بناها بنو إسرائيل فى مصر أم بالنسبة لخط سير خروجهم منها. بينما يذكر العهد القديم أسماء كثير من الأماكن والمدن فى تفصيلية أكثر. والقرآن لا يذكر موت أحد الفراعنة أثناء مكوث موسى فى أرض مدين

(*) جراح ومستشرق فرنسى.

(١) موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، مكتبة النافذة، دراسة وتقديم خالد محمد عبد، ١٩٧٧.

(٢) موريس بوكاى، القران الكريم و والتوراة والإنجيل والعلم، دار الملتقى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

وأشار العهد القديم إلى ذلك.

والقرآن لا يحتوى على تحديدات عددية خاصة بجماعة موسى عليه السلام بينما يضخم العهد القديم عددهم ويصل بهم إلى عدد بعيد عن القبول وهو ٦٠٠ ألف رجل بأسرهم يكونون جماعة أكثر من مليونيين من السكان. ويشير القرآن إلى العثور على جثة فرعون موسى بعد موته وهو مالم يشر إليه العهد القديم.

ثم يذهب بوكاى إلى القول بأن النقاط المشتركة بين العهد القديم والقرآن هى:

- تأكيد القرآن والعهد القديم لاضطهاد فرعون لبنى إسرائيل.

- تأكيد القرآن والعهد القديم على موت فرعون - عند خروجه لمطاردة موسى وبنى إسرائيل - غرقا.

ودراسات بوكاى عن فرعون موسى تنتهى الى القول بان فرعون موسى ليس واحداً بل اثنين!. فرعون قام بتسخير بنى إسرائيل واضطهدهم وعذبهم وهو الذى نشأ موسى وترعرع فى كنفه، ومات أثناء هروب موسى وإقامته فى أرض مدين.

وفرعون آخر هو فرعون الخروج الذى طارد موسى وجماعته ومات غرقا. ويذكر أن الأول هو رمسيس الثانى ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشر والذى استمرت فترة حكمه ما يقرب من ٦٧ سنة والثانى هو ابنه مرنبتاح ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة والذى استمر حكمه عشر سنوات أو ١٣ تقريبا.

كما كشف أيضاً[1] عن تطابق ما ورد فى القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه فى اليم مع الواقع المتمثل فى وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين حيث قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة يونس]. حيث يقول:

«إن رواية العهد القديم بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن مرنبتاح خليفة رمسيس الثانى هو فرعون مصر فى زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لومياء مرنبتاح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إن العهد القديم يذكر أن الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطى تفصيلا بشأن ما حدث لها لاحقاً. أما القرآن فيذكر أن جثة فرعون سوف تنقذ من الماء كما جاء فى الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبى لهذه الومياء أن الجثة لم تظل فى الماء

(١) موريس بوكاى، العبرانيون فى مصر، بحث فى مؤتمر ماليزيا للإعجاز العلمى، ١٩٩٤.

مدة طويلة، إذ أنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل فى الماء».

ومن أنصار هذه النظرية من يختلف مع بوكاى بعض الشىء، فمنهم من يرى أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان خروجاً سلمياً ليس فيه مطاردة، وأن مرنبتاح تعقبهم بعد أن وصلوا فعلاً إلى فلسطين، ومن أصحاب هذا الرأى جان يويوت[1] الذى يرى أن بنى إسرائيل انتهزوا فرصة انشغال جيش مصر فى صد غزوة الليبيين لحدود مصر الغربية فى السنة الخامسة من حكم مرنبتاح فهربوا من مصر، ثم بعد أن فرغ مرنبتاح من حربه مع الليبيين جرد حملة إلى فلسطين وأباد بنى إسرائيل هناك. وحول هذه النظرية نقاط تستحق البحث والتمحيص يمكن أن نوردها فيما يلى:

قد يؤيد هذه النظرية ما ورد فى العهد القديم (خروج ٢ : ٢٠٣) من أن ملك مصر قد مات، أى أن رمسيس الثانى مات وتولى الحكم بعده ابنه مرنيتاح. مما قد يتفق مع ما تقول به هذه النظرية، غير أنه يمكن القول كما قد قلنا من قبل أنه قد يستقيم القول «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا» وليس «ملك مصر مات» فى (الخروج ٢ : ٢٣) ليتفق مع ما ذكر فى الخروج (٤ : ١٩).

كما قد يؤيد هذا الافتراض أو هذه النظرية أن نفهم من الآية الكريمة ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء] ما يشير إلى أن فرعون القائل هنا يريد بقوله «فينا» أى فى البيت الملكى أو أنه قد يشير بذلك إلى والده رمسيس الثانى الذى تربى موسى فى كنفه. غير أنه لا يمكن التسليم بهذا الفرض تسليماً قاطعاً فقد يكون الفرض الآخر (بأن يكون رمسيس هو نفسه القائل بذلك) على نفس القدر من القبول ويكون رمسيس الثانى هو الذى يمن على موسى بحق الرباية. بل إن هذا الفرض الثانى له ما يعضده إذا أخذنا فى الاعتبار ما يمكن أن يكون أكثر إيلاماً للنفس وأدعى إلى الحزن عندما يجد فرعون أن ما كان يأمله وزوجته من تربية موسى ومن كانت ترجى منفعته ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة القصص] صار هو نفسه سبباً فى هلاكه فكأنه التقطه ليكون له عدواً وحزناً، كما قرر القرآن الكريم: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة القصص].

---

(١) جان يويوت: مصر الفرعونية، مترجم، القاهرة ١٩٦٦ ص٤٠.

وبالرغم من كل أسباب الحيطة والحذر الذى اتخذها رمسيس الثانى. وهذا أبلغ فى العبرة من أن يكون الذى سخر وتكبر وتجبَّر قد مات فى سريره ميتة طبيعية فى حين يكون الغرق من نصيب ابنه. وخاصة أن مدة حكم رمسيس الثانى طويلة تسمح بوقوع كل الأحداث فى عهده. وتكون الآية بلفظ البحر لجثته تمثيلاً به لأفعاله.

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة يونس].

فالذى يُقبل هو أن يكون فرعون موسى - الذى رباه وهو طفل ثم هرب منه وهو شاب ثم عاد له ليبلغه برسالة ربه بترك اليهود يخرجون من مصر وقت أن صار كهلا - هو فرعونا عاش على الأقل خمسين عاما وهى التى فيها عاصر موسى طفلا فشابا فكهلا ثم مات غرقا.

كما أن ما يعضد هذه النظرية تلك اللوحة التى ذكر فيها بنى إسرائيل وهى لوحة مرنتاح أو لوحة بنى إسرائيل والتى كتبت فى العام الخامس من حكمه. والتى تذكر أن مرنبتاح قد قضى على بنى إسرائيل وأبادهم وبالتالى يكون هو فرعون الخروج.

غير أن هذا يتنافى مع الحقيقة المؤكدة وهى أن فرعون الخروج غرق أثناء مطاردته لبنى إسرائيل، فلا يمكن أن يكون الخروج حدث فى أوائل حكم مرنبتاح بل يكون قد حدث فى أواخر حكم رمسيس الثانى الذى غرق أثناء مطاردتهم. كما أنها بهذا تغفل سنوات التيه التى عاش فيها بنو إسرائيل فى صحراء سيناء والتى وردت فى القرآن الكريم. مما يدل على أن الاعتماد على لوحة مرنبتاح كسند فى نظرية أن يكون مرنبتاح نفسه هو فرعون الخروج هو فى حد ذاته ينفى هذه النظرية ويثبت عدم صدق الفقرة الواردة بها والمتعلقة ببنى إسرائيل تصبح هذه اللوحة فى حقيقتها دليلاً على أن الخروج تم قبل عصر مرنبتاح. وقد علق جيمس بيكى[1] عالم الآثار الشهير إلى ذلك فى إشارة مقتضبة بقوله: «وإن مركز مرنبتاح كفرعون الخروج قد اهتز بسبب كشف لوحة النصر أى لوح إسرائيل».

ولقد تناولنا طبيعة هذه اللوحة والاختلاف حول ما فيها فيما سبق.

كما أن البعض ذهب فى اعتقاده فى صحة هذه النظرية مذهباً بعيداً ليقول أن فرعون الخروج لم يمت وإنما نجاه الله ببدنه (أى نجا ببدنه من الغرق) ليكون آية للناس على قدرة الخالق. ومن هؤلاء سليم حسن[2] الذى يرى أن موضوع غرق فرعون فى الكتب السماوية

(١) جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل جـ٣، ص ١٧١.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة جـ ٧، ص ١٣٥.

قـد فهم خطأ، حيث يقول: الواقع أنه لا يمكن للإنسـان أن يتصور غرق الفرعون وعربته فـى ماء ضحضاح لا يزيـد عمقه عن قدمين أو ثلاثة، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال وسقط بعض ركابها وهذا يفسر ما جاء فى سفر [الخروج ١٤: ٢٥] «وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله». أو «وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة».

ويسـتمر قائلاً: هذا فضلاً عن أن ما جاء فى القرآن الكريم لا يُشـعر بأن الفرعون الذى عاصر موسى وطارده قد غرق ومات، بل على العكس نجَّاه الله ببدنه ليكون آية والتعبير: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴿٩٢﴾ ﴾[سـورة يونس] تعـادل التعبير العامـى (خُلُص بجلده)!! وفى رأى الشـخصى أنه لا يمكن تأويل أو تفسـير آيات القرآن اعتمادا على مفهوم العوام أو التعبير العامى.

الافتراض التاسع

ويكاد يكون معارضة لما أورده الافتراض السابق من أن فرعون الخروج هو مرنبتاح ليضع لنا فرضية جديدة تقول بأن سيتى الثانى هو فرعون الخروج. وقد أورد هذا الرأى د. أحمد عبد الحميد يوسـف فى كتابة «مصر فى القرآن والسـنة». وقبل أن نستعرض حيثيات هذا الرأى ينبغى أن نشـير أولاً إلى أن مرنبتاح كان الابن الثالث عشـر من أبناء رمسيس الثانى الذكور. وقد اختاره والده ولياً للعهد فى السـنة الخامسة والخمسين من حكمه، وذلك بعد موت الأمير «خع ام وست» الذى ظل ولياً لعهد المملكة المصرية مدة طويلة. ولم يتول عرش الملك إلا وهو فى نحو الستين من عمره ومن ثم نرى ملكاً طاعناً فى السن قد خلفه آخر بلغ أرذل العمر. ولعل الفترة التى قضاها مرنبتاح فى الحكم لم تكن طويلة فإن آخر ما عثر عليه مـن آثاره ترجع إلى السـنة الثامنة من حكمه مما يـدل على أنه لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثمانى إلى عشر سنوات وليس هناك حتى الآن ما يثبت انه حكم عشرين عاماً كما ذكر لنا مانيتون.

ويقول د.أحمد عبد الحميد يوسـف أنه قد طعن فى السن وتقدمت به الأيام، إذ بدا من فحص مومياته تصلب الغضاريف من حنجرته فإذا هى عظام كلها، وفى ذلك ما يدل – فى رأى الطب والأطباء مع صلعه وما تبقى من بياض شعره الأشيب – على أنه بلغ من الكبر ما يقعد به أو يوشك أن يقعد به عن الخروج فى حملات الحرب والقتال.

ولئـن كان لا يخرج فى الحملات الخطيرة التى تتعـرض فيها مصر للعدوان والغزو من

قِبَـل الغرب فلم يخرج عنـد هجوم الليبيين فى العام الرابع. ولا ثبت خروجه فى الزحف الأكبر الذى وجهوه على مصر فى العام التالى، فأحرى به لو وقع خروج بنى إسرائيل أواخر حكمه ألا يخرج لإدراك هؤلاء الهاربين، الشـرذمة القليلون. ولذلك فأحرى بحكم السن أن تكون نهايته وفاة بحكم الشيخوخة فى ختام العمر.

ويرجـح الكاتب أن يكون فرعون الخروج شـاباً أو رجلاً مكتمل الصحة موفور النشـاط حيث الموت المفاجىء بغرق أدنى إلى العقل والاقتناع، ويرى أن ذلك ينطبق على «سـيتى الثانى» والذى توجد مومياته بالمتحف المصرى بالقاهرة.

كما يسـتدل على ذلك بأن ما ورد فى القرآن الكريم بين موسـى وفرعون من جدل كان يعنـف حتى يبلغ حد التراشـق اللفظى دليل آخر على شـخص فرعون الخروج. فما كان لموسـى بأدبه الربانى ليتحدث بهذا العنف إلى رمسـيس الأكبر الذى تربى فى كنفه ولا إلى ابنـه مرنبتاح. وظاهر إذاً أن موسـى إنما كان يتحدث إلى ترب أصغـر من أترابه من بنى رمسـيس أو أحفاده تربى موسـى معه أغلب الظن، وارتفعت بينهما من قبل الكلفة وزالت الرهبة بحيث يقول موسى له:

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

والظن هنا بمعنى التحقيق ومثبوراً كما تذكر كتب التفسير أى ملعونا أو مغلوبا أو خاسرا أو مخبولاً لا عقل له أو هالكاً أو مسحوراً ليرد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ. ولم يكن رمسـيس الثانى ولا كان مرنبتاح باللذين يوصفان بالمثبور. وهناك اختلاف كبير كما تثبت الشـواهد التاريخية بين شخصية أوائل فراعنة الأسرة التاسعة عشر وأواخرها، فشتان بين سيتى الأول ورمسيس الثانى وما بين مرنبتاح، ثم ما بين مرنبتاح وابنه سيتى الثانى.

وفضـلاً عـن ذلك فإن ما تبين من لوحة النصر الأكبر من تمتع الناس أيام مرنبتاح بأمن ورخـاء من بعد خوف واضطراب وما تحدثت به أخباره بعد، فقد عرف عن عصر مرنبتاح من سعة وفيض من رزق مكناه من غوث الحيثيين فى مجاعتهم. وما عرف من عهد سيتى الثانى من فوضى واضطراب، وما ورد من عهد صاحب الخروج من نوازل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سـورة الأعراف]، وإن كل هذا فى نظر الكاتب يرجح أن يكون سيتى الثانى هو صاحب الخروج. ولعل سيتى الثانى كان حين ولى العرش قد اتبع سياسة السماحة واللين متبعاً سياسة والده مرنبتاح الذى كان أرحم من أبيه رمسـيس الثانى ببنى إسرائيل. وآية ذلك أن موسى حين

جاءه بالبينات إذا باللأ من حوله يحرضونه على استئناف سياسة جده فيهم من القتل والتعذيب وأنه أوعد بها على التحديد، كما يدل ذلك على ما وصلت إليه حاشيته من مكانة وتأثير فى شخصية الفرعون.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

ويخرج د. عبد الحميد يوسف من ذلك إلى أن حياة موسى قد شهدت أطواراً ثلاثة:

كان الأول حين مولده تحت فرعون يضطهد بنى إسرائيل ويعذبهم، يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم فدفع ذلك بأمه بوحى من الله تعالى أن تلقيه فى اليم.

والثانى حين بلغ أشده واستوى على عهد توقف فيه ذبح البنين وخف العذاب. وتمتع فيه بنو إسرائيل بقدر من السماحة واللين أغرياهم بشىء من جرأة وتبجح، فلم يكن لاسرائيلى أن يقتتل مع مصرى فيستنصر عليه موسى فيقتله، ثم يعود إلى قتال آخر بعد مقتل الأول إلا فى ظل سماحة تمتعت بها طائفته وأمن استمرأته شيعته. وقد كان محتملاً أن تتعرض الطائفة كلها لنقمة فرعون والناس بعد مقتل المصرى والشروع فى قتل الآخر. ومع ذلك فقد بلغت السماحة يومئذ بحيث لم يطلب غير موسى بدم ذلك القتيل، وبما عسى أن يكون فتنة وفساداً فى الأرض.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة غافر].

وكان الطور الثالث حين عاد موسى إلى مصر برسالة ربه يثير فى قوم فرعون مكامن العداوة والبغضاء فيحرضون مليكهم كما سبق على استئناف ما كان قد انقطع من التعذيب لبنى إسرائيل.

وقد يؤيد تغير لهجة حوار موسى مع فرعون، نتيجة لاختلاف من يحدثه الآن عن سابقه، ما ذكره القرآن من خوف موسى وأخيه من طغيان فرعون وبطشه عندما كلفا بالرسالة والذهاب إلى فرعون فى قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة طه].

ولعلنا نستشعر مدى ما كان فى نفس موسى من رهبة اللقاء، لسابق معرفته بجبروت هذا

الفرعون وطغيانه، وذلك من دعائه إلى ربه:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة طه].

وانتشرت القلاقل داخل البلاد بسبب الثورات التى قامت من أجل عرش الملك والتطاحن عليه بين أفراد أسرة هذا العاهل. والواقع أن البلاد بعد عهد «مرنبتاح» كانت فى حالة من الفوضى والاضطراب. فبوفاته تفجرت أزمة وراثة العرش، وكان ذلك متوقعاً بالنظر إلى طول مدة حكم رمسيس الثانى والتى بلغت ما يقرب من ٦٨سنة. فوفاة أولياء العهد تباعاً، واختيار مرنبتاح لتولى السلطة رغم ترتيبه الثالث عشر كانا سبباً فيما احتدم من صراع بين أفراد الجيل اللاحق من الأسرة المالكة.

وقد نتفق معه فيما ذهب إليه من أن عصر مرنبتاح كان عصراً مستقراً إلى حد ما، ونعمت فيه البلاد ببعض الهدوء وتحسن الوضع المالى لها، بعد أن ابتلعت النهضة العمرانية والبنائية الكبيرة التى قام بها أبوه «رمسيس الثانى» كل موارد الدولة. وكذلك مع ما كان من اضطراب وفوضى فى عهد خلفه «سيتى الثانى» الذى تولى الحكم وهو فى سن السادسة والخمسين من عمره تقريباً. وكانت الأمور مهيأة لقيام الاضطرابات وتأليف الأحزاب التى نجدها تنمو وتترعرع فى مثل هذه الأحوال لانعدام الشخصية القوية التى تضرب على أيدى العابثين والنفعيين، ولم يبق هناك حاكم يرد الحق إلى نصابه، وسقطت مصر فى أيدى أمرائها وحكام مدنها، وأصبحت البلاد فى إعياء وفقر داخلى بالغ.

ويذكر نيقولا جريمال فى كتابه تاريخ مصر القديم[1] أنه جاء فى بردية «هاريس»: سادت مصر الاضطرابات، وأصبح كل شخص يضع قانونه الخاص، وعلى امتداد عدة سنوات لم تعرف مصر حكومة...وتحكّم الأعيان وعُمَد القرى فى البلاد».

وبردية «هاريس» المذكورة هى أطول بردية مصرية قديمة عثر عليها حتى الآن وتشتمل على ١٥٠٠ سطر. وقد عثر عليها فى مقبرة بالقرب من مدينة هابو بالأقصر. واشتراها جامع التحف أنتونى تشارلز هاريس (١٧٩٠ – ١٨٦٩) فى عام ١٨٥٥، ودخلت ضمن مجموعة المتحف البريطانى عام ١٨٧٢. وتشمل قائمة بأوقاف المعبد وموجز مختصر عن فترة حكم رمسيس الثالث من الأسرة الـ ٢٠. وتذكر البردية اسم «ست نخت» والد الملك

(1) Nicholos Grimal, A History of Ancient Egypt Blackwell, London, 1994, p.355

رمسيس الثالث وسلفه فى الحكم الذى أعاد الاستقرار إلى مصر بعد صراع داخلى ونزاع أهلى. ورمسيس الثالث هو الذى نظم الجهاز الإدارى وجيش الدولة. والبردية نفسها كتبت فى عهد الملك رمسيس الرابع ابن الملك رمسيس الثالث.

ومع اتفاقنا مع ما ذهب إليه من أن هذه الفترة كانت فترة اضطرابات وفوضى، إلا أن كل هذا لا يعنى بالضرورة أن يكون ذلك العهد هو عهد نزول الآيات التسع الواردة فى العهد القديم والقرآن الكريم، وأن ذلك الفرعون (سيتى الثانى) هو فرعون الخروج.

كما أنه فى تقسيمه لحياة موسى للأطوار الثلاثة لم يحدد أى الفراعنة أقرب وجوداً لكل مرحلة وإن نوه قبل هذا بصورة عامة إلى أن موسى قد عاصر الفراعنة الثلاث «رمسيس الثانى» وثم «مرنبتاح ثم «سيتى الثانى» وأن الأخير هو فرعون الخروج.

وهناك من الباحثين من يقترب من هذه النظرية ويؤيدها، ومنهم الباحث محمد عزة دروزة[1] الذى يربط بين اضطهاد بنى إسرائيل على يد فرعون، والذى ثبت فى الكتب المقدسة، وبين ما ورد فى برديات مصرية من حديث عن اضطهاد رمسيس الثانى للعبرانيين. وذلك اعتماداً على ما ذكر جيمس هنرى بريستد فى كتابه «تاريخ مصر منذ أقدم العصور» الذى تحدث عن تسخير رمسيس الثانى للعبرانيين فى جنوب بلاد الشام. وقد ذكر بريستد خروج بنى إسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح الثانى فى ظروف الاضطراب وعدم الاستقرار التى حدثت فى مصر وقتها، وأن السحرة والمنجمين نصحوا مرنبتاح بتعذيب بنى إسرائيل. وظهر فيهم موسى ثم كلف برسالة التوحيد ونبذ ألوهية فرعون وتحرير بنى إسرائيل من العبودية التى يرزحون تحت نيرها. وانتهى الأمر بخروجهم من مصر ومطاردة مرنبتاح لهم وقتل منهم مقتلة عظيمة.

وقد اعتمد بريستد فى معلوماته على المدونات اليونانية القديمة والمؤرخ المصرى القديم «مانيتون السمنودى» الذى عاش فى العصر البطلمى. ويقول بريستد أنه قرأ نصوصاً مكتوبة فى الأقصر يفتخر فيها مرنبتاح الأول بتنكيله ببنى إسرائيل وباقى سكان فلسطين.

غير أن هذا القول ربما يقصد به ما ذكر بلوحة النصر لمرنبتاح أو لوحة إسرائيل وليس نصوصاً بعينها فى مقبرته مثلاً. ويحاول «دروزة» ان يجمع بين تلك الروايات فيقول: إن بنى إسرائيل خرجوا من مصر على دفعتين: دفعة صغرى فى عهد رمسيس الثانى أو ابنه مرنبتاح ودفعة كبرى فى عهد من جاء بعده «آمون مس» الذى اغتصب الحكم لنفسه

---

(١) محمد عزة دروزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.

وحكم فترة تصل إلى خمس سنوات أو سيتى الثانى وهو ابن مرنبتاح وحكم سبع سنوات، والأخيرة هى التى قادها موسى.

مثل هذه الفروض التسع التى تناولت فرعون موسى، والتى تم إيرادها فى هذا الكتاب تقوم على اجتهادات فكريه وكل منها له حيثياته التى قد تقترب من المنطق وقد تجدف بعيداً عنه. وهناك مجموعة أخرى من الافتراضات لم نوردها فى هذا العرض لكونها فروضا واهية لا تعتمد على أساس ولا يمكن عرضها للنقاش، كمن يدعى أن فرعون وجنده الذين طاردوا موسى عليه السلام من قوم موسى وليسوا من المصريين. أو من يقول بأن فرعون موسى هو أوزير أو أوزوريس وأن إيزيس زوجته (أو إيست بالمصرية) هى «أسيه بنت مزاحم» امراءة فرعون التى ورد ذكرها فى القرآن. وأن «ست» المعبود الشرير الذى قتل أوزير ما هو إلا النبى موسى عليه السلام!!، مستقياً فكره من الأسطورة المصرية القديمة «إيزيس وأوزوريس». ومثل هذه الآراء تحتاج إلى كثير من الحقائق حتى تقف على قدميها كافتراض يمكن مناقشته.

وخلاصة هذا السرد أو هذا التناول للآراء والافتراضات المختلفة أنه لا يمكننا الجزم بصحة أى منها، وإن كنا نميل إلى أحدها دون الآخر فلا يعنى ذلك أننا نجزم بهذا الرأى ونقطع به.

ولعلنا نكون أكثر حيادية وأكثر صدقاً ونسير وفق ما تناولته الكتب المقدسة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك العهد القديم، إذا ما سلمنا بصحة كل ما كتب عن قصة فرعون فيه حيث لم تكتب التوراة إلا فى القرن الرابع قبل الميلاد، هذه الكتب لم تصرح باسم الفرعون وإنما أشارت فقط إلى ما كان منه تجاه دعوة موسى عليه السلام، وما وقع لبنى إسرائيل على يديه من تعذيب وتسخير وقتل للأبناء واستحياء للنساء، وكيف كان مصيره. كما أن النصوص الأثرية والمخلفات المادية للتاريخ والتى تحت أيدينا حتى الآن لم تشر إلى كنه هذا الفرعون ومن يكون ، وقد يكون فى باطن الأرض ما قد يغير كل هذه الافتراضات والتخمينات.

□□□

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١ – ابن كثير، قصص الأنبياء، دار العقيدة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.

٢ – أدولف إيرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، القاهرة، ١٩٥٤.

٣ – أحمد عبد الحميد يوسف (دكتور)، مصر فى القرآن والسنة، دار الشروق، طبعة خاصة ضمن مكتبة الأسرة، ٢٠٠١.

٤ – أحمد فخرى (دكتور)، مصر الفرعونية، ١٩٧١.

٥ – أحمد قدرى (دكتور)، المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية، ترجمة مختار السويفى ومحمد العزب موسى، مطبعة هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٥.

٦ – ألن شورتر، الحياة اليومية فى مصر القديمة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، ومحرم كمال، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥.

٧ – بيير مونتيه، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة، ترجمة عزيز مرقص ومراجعة عبد الحميد الدواخلى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥.

٨ – تحفة حندوسة (دكتور)، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، مطبعة المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٨.

٩ – ت. ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

١٠ – جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة ١٩٩٦.

١١ – جلال زكى، موسى على أرض مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧.

١٢ – جون ويلسون، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٦.

١٣ – جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

١٤ – جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل، ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد، ومراجعة جمال الدين مختار، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٨٧.

١٥ – جيمس هنرى بريستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ترجمة د. حسن كمال، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٩.

١٦ – جيمس هنرى بريستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
١٧ – رشدى البدراوى (دكتور). موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟ أستاذ بجامعة القاهرة وباحث وكاتب إسلامى.
١٨ – رمضان السيد عبده (دكتور)، تاريخ مصر القديمة، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، هيئة الآثار المصرية، جـ ٢، ١٩٩٣.
١٩ – رمضان السيد عبده (دكتور)، اللوحة ذات النصين ليست لوحة إسرائيل، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا، ١٩٩٠.
٢٠ – رمضان السيد عبده (دكتور)، دراسة حول تطور علاقة موسى بالمسئول فى مصر، فى الفترة التى عاش فيها، مجلة التاريخ والمستقبل، العدد الثانى، يوليو ٢٠٠٠.
٢١ – سعيد ثابت، فرعون موسى، دار المدينة المنورة، القاهرة، ١٩٩٢.
٢٢ – سعيد أبو العينين، الفرعون الذى يطارده اليهود بين التوراة والقرآن – كتاب اليوم، ١٩٩٧.
٢٣ – سليم حسن، مصر القديمة، الأجزاء ١، ٢، ٦، ٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة خاصة ضمن مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.
٢٤ – سيد توفيق (دكتور)، معالم وتاريخ حضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.
٢٥ – سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة وتحقيق جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.
٢٦ – عبد الصبور شاهين (دكتور) وإصلاح عبد السلام الرفاعى، مصر قبل الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، ٢٠٠٠.
٢٧ – عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، جـ ١، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
٢٨ – فيليب حتى (دكتور)، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جـ ١، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة ببيروت، ١٩٥٨.
٢٩ – فوزى مكاوى (دكتور)، الناس فى مصر القديمة، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٥.
٣٠ – قلينى نجيب، فرعون موسى، دار حورس، ١٩٩٢.

٣١ – كنت أ. كتشن، رمسيس الثانى فرعون المجد، ترجمة: د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٣٢ – لبيب حبشى، مسلات مصر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، ناطحات السحاب فى الزمن الماضى، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٤.
٣٣ – محمد بيومى مهران (دكتور)، اخناتون عصره ودعوته، الإسكندرية، ١٩٧٩.
٣٤ – محمد بيومى مهران (دكتور)، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤.
٣٥ – محمد بيومى مهران (دكتور)، دراسات تاريخية فى القرآن الكريم، بيروت، جـ٢، ١٩٩٨.
٣٦ – مراد محمد محمود الدش، عبور موسى من بحيرة قارون، وتحتمس الثالث فرعون الخروج، دار الحكيم، ١٩٩٩.
٣٧ – محمد السيد الداودى، من كنوز القرآن، بحوث لغوية منوعة، دار المعارف ١٩٧٣.
٣٨ – محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل، ترجمة وتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابى، دار ابن حزم، ١٩٩٧.
٣٩ – محمد عزة دروزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
٤٠ – منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب فى مصر القديمة، مطبعة المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٤.
٤١ – موريس بوكاى، العبرانيون فى مصر، بحث فى مؤتمر ماليزيا للإعجاز العلمى، ١٩٩٤.
٤٢ – موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة مكتبة النافذة، دراسة وتقديم خالد محمد عيد ١٩٩٧.
٤٣ – موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار الملتقى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.
٤٤ – نجيب ميخائيل إبراهيم (دكتور)، مصر والشرق الأدنى القديم، مصر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٢.

٤٥ – نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة، ١٩٩٣.
٤٦ – وهيب كامل، ديودور الصقلى فى مصر، القاهرة ١٩٤٧.
٤٧ – القرآن الكريم.
٤٨ – تفسير الطبرى.
٤٩ – تفسير بن كثير.
٥٠ – تفسير القرطبى.
٥١ – تفسير فتح القدير.
٥٢ – تفسير البيضاوى.
٥٣ – تفسير الجلالين.
٥٤ – تفسير البغوى.
٥٥ – تفسير الدر المنثور.
٥٦ – الكتاب المقدس.

❑❑❑

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Assmann, Jan, Moses the Egyptian: The Memory of Egypt in Western Monotheism. Harvard University Press, 1997
2. Fast, Howard. Moses, Prince of Egypt, Crown Pubs., New York, 1958.
3. Freud, Sigmund. Moses and Monotheism. New York: Vintage, 1967
4 Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford 1976.
5. Grafton Elliot Smith. The Royal Mummies, Cairo, 1912, pp. 65 -70.
6. Henri Daniel Rops, Israel and the Ancient World, London, 1964.
7. John Argubright , Bible Believer's Archaeology, Volume 1, Historical Evidence That Proves the Bible, USA, 1997.
8. Kenneth A. Kitchen, The Physical Text of Merenptah's Victory Hymn [The "Israel Stela"], The Journal of the Society for the Study of Egyptian Antiquities 24 [1994]: 71–76
9. Kitchen, Kenneth. Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II. King of Egypt. London: Aris & Phillips(1983)
10. Messod Sabbah, Roger Sabbath, Secrets of the Exodus: The Egyptian Origins of the Hebrew People, Allworth Press, 2004.
11. Naville، Archeology of the Old Testament, 1913
12. Nicholos Grimal, A History of Ancient Egypt, Blackwell, London, 1994.
13. Osman, Ahmed, Moses. Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten Resolved, London, Paladin. 1994.
14. Osman, Ahmed, Moses and Akhenaten: The Secret History of Egypt at the Time of the Exodus, London, Paladin 2002.
15 Osman, Ahmed, The Hebrew Pharaohs of Egypt. The Secret Lineage of the Patriarch Joseph, Bear & Company, London, 2003
16. Petrie, H. I. C., Hykoses and Israelite Cities, London, 1906.
17. Smith, J.W., God & man in Early Israel, London, 1956.
18 Weigal, A., A History of the Pharaohs، London، 1986
19. htt //en.wikipedia.org/wiki/Musa (Prophet)
20. htt // en wikipedia.org/wiki/Moshe_Rabbein

21. http://allanturner.com/pharaoh.htm.
22. http://www.55a.net

□□□